ثروت أباظة

خيوط واهية

رواية

خيوط واهية

دار الشروق

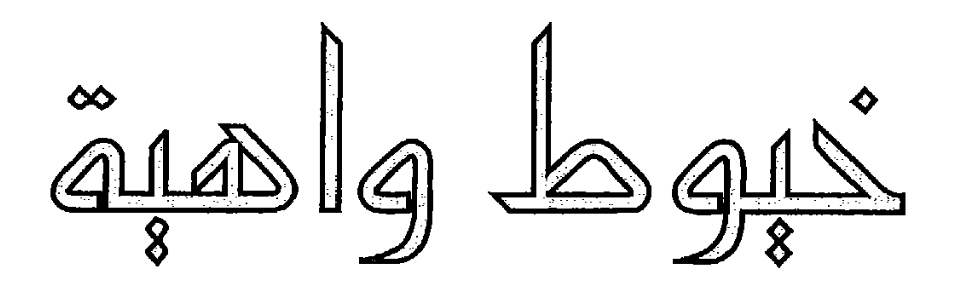
القاهرة

إهـــــــداء 2004

دار الشروق

القاهرة

ثروت أباظة



روايــة

الفصل الأول

الشيخ متولى وهدان هو الخولى وليس ناظر الزراعة لدائرة فؤاد باشا الجوينى ، وكانت هذه الزراعة التى هو خولى لها ألفا وستمائة فدان وزيادة ، ورثها الباشا عن أبيه الذى ورثها هو أيضا عن أبيه الذى كان يملك خمسة آلاف فدان ، وصلت إلى ابنه ألفا وستمائة حين نال أخواه نصيبهما الشرعى ، وكان ناظر الزراعة هو زكى النمر الذى كان الفلاحون يطلقون عليه الأفندى ، وكان هذا اللقب كافيا للتعريف به دون أن يسبقه الاسم . ورغم كثرة الأفندية فى القرية التى كان يقيم بها ناظر الزراعة إلا أن لقب الأفندى مسبوقا بألف ولام التعريف كان لا ينصرف إلا إلى ناظر الزراعة زكى النمر الذى يملك عشرة أفدنة فى القرية . وكانت قرية الهدارة ، التى يقع بها سراى فؤاد باشا ومنزلا الشيخ متولى والأفندى ، قرية كبيرة مساحة الأرض المنزرعة فيها أكثر من ثلاثة آلاف فدان ، ولم يكن الشيخ متولى يملك إلا فدانين ، ولو كان يستطيع أن يزوِّر فى الحسابات ويختلس مليما من أموال الدائرة لما امتنع عن ذلك ، فلم يكن الشيخ متولى ذا ضمير يردعه عن السرقة ، فهو تائب فى غير عفة ، لأن الأفندى كان رجلا يجمع إلى النزاهة اليقظة التى تمكنه من مراقبة العاملين معه ؛ فما كان واحد منهم يستطيع أن يختلس من أموال الدائرة

شعرة، سواء كانت هذه الشعرة مالا أو كانت محصولا، ولذلك لم يكن عجبا أن يصبح الأفندى مكروها من كل الذين رماهم القدر أن يعملوا تحت سيطرته بدائرة فؤاد باشا، وكان يقابل هذه الكراهية من موظفى الدائرة حب واحترام وتقدير من الباشا نفسه ومن سائر الفلاحين، فقد كان الأفندى حريصا أن يأخذ كل ذى حق حقه حرصه على ألا يغتال أحد حق الدائرة سواء أكان موظفا فيها أو كان متعاملا معها. وكذلك كان الشيخ متولى محبوبا من الفلاحين، فقد استقرت نفسه أنه مادام لا سبيل للسرقة؛ فليجعل الأمانة أصلا فيه، وليس أمرا مفروضا عليه، وهكذا لم يكن حب الفلاحين له أمرا مستغربا، وكان موظفو الدائرة يخشون الأفندى والشيخ متولى كل الخشية ويوقرونهما، ولم يكن الأفندى يتنازل عن مكانته فجملَه أوامر، وكان حريصا ألا يتباسط مع العاملين معه، وإن كان مع غيرهم بشوشا طلق المحيا ودوداً فى صلاته مع الناس.
ولذلك كان شهاب ابن الشيخ متولى يُكنّ الغيظ والحقد على زكى النمر لما يراه من ذلة أبيه أمامه، وكان حقده أشد من فؤاد باشا الجوينى، وقد تمكن شهاب من رؤية أبيه أمام الباشا مرات، وكان يحس أن أباه أمام الباشا وجود بلا وجود، مع أنه لم يكن فى المرات التى شهدها شهاب يؤنب أباه أو يزجره، بل لعله كان فى حديثه معه أكثر رقة ويسرا من زكى النمر. ولكن شهاب كان يحس أن أباه هزيل ضعيف أمام الأفندى، ويفتقد كيان أبيه أمام الباشا فيفقده فكان أبوه يبدو أمامه هباءة هائمة فى الهواء لا تكاد ترى أو تحس. وفى مرة من المرات التى رأى فيها شهاب الباشا كان يرافق أباه وهو يشرف على جمع القطن، وجاء الباشا فجأة ليتأكد من نظافة الجمع والقطن؛ وهرول إليه الشيخ متولى دون أن يلحظ أن ابنه شهاب يهرول خلفه. وسأل الباشا خولى زراعته:

ـ هيه كيف الحال يا شيخ متولى؟

وكان متولى حاصلا على لقب شيخ قبل أن يعينه الباشا عنده، فقد كان من حفظة القرآن الكريم. وقال الشيخ متولى فى استجابة سريعة وحماس شديد:

ـ كل شىء تمام يا سعادة الباشا بنفس سعادتك وبركتك.

ـ ومن هذا الذى يقف خلفك؟

واضطرب متولى، فهو لم يكن تنبه بعد إلى وجود ابنه خلفه وقال:

ـ أين يا سعادة الباشا؟ . . . من يا سعادة الباشا؟

وحينئذ انصرف الباشا عن متولى وأشار إلى شهاب قائلا:

ـ تعال يا شاطر.

وامتقع وجه متولى بينما تقدم شهاب فى خطوات ثابتة وقال للباشا:

ـ شهاب متولى.

والتفت الباشا إلى متولى:

ـ أهو ابنك يا شيخ متولى؟

وتلعثم متولى وهو يقول:

ـ نعم يا سعادة الباشا ربنا يطيل عمرك وعمر أنجالك عمر بك وعلى بك وعائشة هانم!

وقال الباشا فى أبوة :

ـ الله يحفظك . هل أدخلته المدرسة؟

ـ والله يا سعادة الباشا العين بصيرة واليد . . . . .

ولم يكمل الجملة بل قاطعه الباشا قائلا فى حسم :

ـ شهاب ابنك يتعلم على حساب الدايرة على شرط أن يكمل تعليمه فى الجامعة مفهوم .

وفى حركة مفاجئة هوى متولى على يد الباشا ليقبلها ؛ فإذا الباشا يختطف يده فى تلقائية سريعة وهو يقول :

ـ أبلغ هذا الأمر إلى زكى أفندى .

ـ أطال الله عمرك ومتعك ومتع عائلتك كلها بالصحة والعافية .

وانصرف الباشا وترك الشيخ متولى مأخوذا بالفضل السابغ الذى ساقته إليه السماء على يد الباشا ، بينما ابنه شهاب لم تتحرك فى نفسه خلجة من فرح وكأن ما وقع أمر طبيعى لا غرابة فيه . ونظر متولى إلى ابنه الجامد الوجه .

ـ ألست مبسوطا . مالك هكذا مبهوتا وكأنك لا تدرك الخير العميم الذى تفضل به الباشا عليك وعلى أبيك وأمك؟

وقال شهاب فى غير مبالاة :

ـ أى خير؟

ـ ستتعلم وتدخل الجامعة على نفقة الباشا .

ـ وماله، إن عنده أموالا لا يحصيها عد، وماذا يضره أن يعلمنى على نفقته.

وصاح به أبوه:

ـ خيبة الله عليك... إلى هذا الحد أنت جاحد؟ ماذا أفعل بك؟ أخشى أن أدعو عليك ويستجيب الله دعائى. حسبى الله ونعم الوكيل...

* * *

الفصل الثانى

وهكذا بدأ شهاب رحلته الدراسية فى غير إقبال ولا جنوح، وكان ترتيبه فى الدراسة متوسطا لا هو متقدم ولا هو الأخير، ولكن المؤكد أنه لم يحس بفضل الباشا عليه مهما تقدمت به السن. فقد كان كلما مرت عليه السنون يزداد حقدا على الباشا وجحودا ونكرانا ـ ولم يكن يطلع عما يختلج بنفسه إلا تفيدة ياسين أمه ـ حابسا ما تفهق به جوانحه من كراهية للباشا عن أبيه مخافة أن يقسو فى عقابه، وإن كان أيضا أمام أبيه لا يحاول أن يكون رطب اللسان على الباشا، وكان أبوه يضيق بهذا منه غاية الضيق. كان شهاب يقول لأمه:

ـ ماذا فعل حتى يصبح على هذا الغنى الفاحش؟

وكانت تفيدة قد حفظت القرآن فى كتاب القرية، فهى لم تكن جاهلة كل الجهل، وكانت تجيبه دائما بالآيات الكريمة.

ـ يا ابنى ألا تعرف أن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾(١).

فيرد شهاب فى كفران :

ـ لماذا؟

وتنتفض أمه قائلة :

ـ أستغفر الله العظيم ، إذا لم يكن للباشا هذه الأرض أين كان أبوك يعمل ومن أين يجد قوته؟

فيقول شهاب فى إصرار :

ـ ولماذا لم يكن الباشا مكان أبى ويكون أبى مكان الباشا؟

ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم حينئذ كان أولاد الباشا سيقولون هذا الكفر الذى تقول، أتريد أن تعدل حكمة ربك؟

ـ أنا فقط أسأل . . . لا عليك ، ماذا هل تنوين أن تحرمينى من العشاء؟

وهكذا أراد أن ينهى الحديث لا عن اقتناع ولكن خشية أن تبلغ به أباه الشيخ فتكون العواقب وخيمة عليه وعلى أمه فى وقت معا .

ولكن أمه ترفض أن تنهى الحديث :

ـ يا ابنى . . . رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : من بات آمنا معافى يملك قوت يومه فكأنما ملك الدنيا كلها أو كما قال ، فالسعادة

---

(١) سورة الزخرف : ٣٢

ليست بالغنى، دائما بالرضا. هل تعرف إن كان الباشا سعيدا أم غير سعيد؟ لا يعرف النفوس إلا خالقها يا شهاب يا ابنى.

ـ كلام نردده لنحتمل الذل الذى نعيش فيه أين العشاء؟

ـ والله مادمت كذلك فلن يبارك الله لك ولا فى اللقمة التى تأكلها، حسبى الله ونعم الوكيل. . حسبى الله ونعم الوكيل.

ولم يكن شهاب على استعداد لمناقشة حقده على جميع من هم أكثر من أبيه ثروة أو مكانة، فقد ترسب الحقد فى كيانه كله منذ هو طفل صغير حتى يومه هذا، وهو يوشك أن يتخرج فى كلية الزراعة التى اختارها له أبوه، ولما كان غير متعلق بكلية أخرى؛ فقد رضى اختيار أبيه بعد نقاش هين حين قال له أبوه:

ـ والآن أى كلية تريد أن تدخلها؟

ـ والله يا آبا أنا لا أفكر فى كلية بذاتها فكل الكليات تحتاج إلى مذاكرة ووجع قلب. وإن كان علىَّ فأنا أريد أن أكتفى بالتوجيهية وأرجو الباشا أن يعيننى بإحدى مصالح الحكومة.

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله، إنه لا يرفض النعمة إلا لئيم. الباشا ينفق عليك ولا يكلفنا تعليمك قرشا واحدا ومع ذلك تريد ألا تكمل دراستك!

ـ والله إن الباشا لم يفعل هذا إلا ليتظاهر بالكرم.

ـ لعنة الله عليك. وهل كان أحد سيقول عنه إنه بخيل إذا لم يقدم هذه المكرمة لابن الخولى الذى يعمل فى أرضه، إن الذى لا يشكر المعروف جاحد لا يستحق ما يقدمه إليه الآخرون من أفضال.

ـ دعك من هذا ويكفى الباشا شكرك أنت له، هل تريد أن تختار لى كلية بعينها؟

ـ ألا تفكر أنت فى أى كلية؟

ـ ليس هناك كلية فى ذهنى.

ـ إذن تتوكل على الله وتدخل كلية الزراعة.

ـ لماذا الزراعة؟

ـ أنت فلاح ابن فلاح وستجد العلوم سهلة، ثم إنك عندما تتخرج سيكون من السهل تعيينك، فإذا لم تعين فى الحكومة فغالبا يعينك الباشا للإشراف على الموالح فى أرضه.

ـ ألا نتخلص من الباشا أبدا؟

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله. ألا نأكل لقمتنا من يده؟

ـ الأمر لله زراعة زراعة.

وهكذا دخل شهاب كلية الزراعة، وظل يتنقل بين سنواتها بدرجة مقبول حتى وصل السنة النهائية.

* * *

الفصــل الثالث

حصل شهاب على بكالوريوس الزراعة؛ وامتلأ أبوه زهوا وفخارا فقد حقق ابنه حلمه العريض، وأصبح أحد خمسة نالوا الشهادات العليا قبله في البلدة كلها.

وبعد أن هدأت الفرحة، قال الشيخ متولى لابنه بمشهد من زوجته تفيدة:

ـ والآن ماذا تريد؟

ـ والله هذه المسألة، الباشا هو الذى يبت فيها، إن كان الأمر بإرادتى فأنا أفضل التوظف فى الحكومة.

وقالت تفيدة:

ـ كله بأمر الله.. توكل عليه سبحانه.

وقال شهاب فى غير مبالاة:

ـ توكلت على الله.

وقال الشيخ متولى فى حماسة:

ـ على بركة الله الحمد لله الباشا هنا هذين اليومين، جهِّز نفسك لنذهب إليه بعد المغرب إن شاء الله يكون قد صحا من قيلولته.

ـ وهو كذلك.

وقالت تفيدة:

ـ ربنا يجعل فى وجهك القبول إن شاء الله.

* * *

قال الباشا:

ـ مبروك يا باشمهندس شهاب.

ـ بارك الله فيك يا سعادة الباشا والله أنا لا أدرى ماذا أفعل لأشكر أفضال سعادتك، ربنا وحده هو القادر على ذلك.

كان شهاب قد تعلم النفاق فأحسن تعلمه، فإن كان قد نال شهادته العليا بدرجة مقبول فهو فى النفاق ممتاز مع درجة الشرف الأولى إن كان الشرف يقبل أن يقترن بالنفاق.

قال الباشا:

ـ والآن أين تريد أن تعين؟

ـ يا سعادة الباشا الأمر لك.

ـ ما رأيك أن تعين عندى بالدائرة مشرفا على حدائق الموالح؟

ـ يا سعادة الباشا العمل فى دائرة سعادتك شرف يتمنى أن يناله أى إنسان.

ـ إذن على بركة الله .

ـ إنما إذا سمحت سعادتك لى بكلمة؟

ـ قل ما تريد كلمة أو عشر كلمات .

ـ أظن سعادتك لا ترضى أن أكون رئيسا لأبى فأنا طبعا لن أجرؤ أن أعطى له أوامر ، وإذا لم أقم بواجبى فلا خير فىَّ وخصوصا أن الموالح تحتاج دقة كاملة فى مواعيد الرى والتقليم وغير ذلك .

وأنا أخشى ألا أكون صالحا لهذا وأبى يعمل تحت رئاستى . سعادتك خير من يقدر هذه المعانى .

ـ والله كلامك له وجاهته فهل تريد أن تعين فى الحكومة أو فى إحدى الشركات الزراعية؟

وقال الشيخ متولى فى سرعة صريحة :

ـ إنه يتمنى وظيفة فى الحكومة .

وقال الباشا :

ـ وهو كذلك ، ومن حسن حظك أن وزير الزراعة صديق عزيز ، يا متولى ، اطلبه فى التليفون .

وأخرج الباشا دفتر التليفونات الخاص من جيبه ، وقال للشيخ متولى :

ـ هناك رقم منزله .

وصاح شهاب فى فرحة صادقة فى هذه المرة :

ـ هكذا فى الحال يا سعادة الباشا .

ـ ولماذا أؤجل ما أستطيع أن أفعله فى الحال .

وما هى إلا دقائق حتى كان الباشا يقول لوزير الزراعة بعد التحيات :

ـ يا معالى الباشا ابن خولى الدائرة حصل على بكالوريوس الزراعة وأريد أن تعينه .

وجاء رد الوزير عبر الأثير :

ـ إذا لم نساعد الذين يعملون معنا فمن نساعد؟

ـ معاليك فلاح أصيل وتعرف هذه الأمور .

ـ هل تحب أن أعينه فى مكتبى؟

ـ والله يكون هذا فضلا أضيفه إلى أفضالك .

ـ أرسله إلى ومعه بطاقة منك .

ـ وهو كذلك وألف شكر .

ـ هذا واجب ولا شكر على واجب .

ـ تصبح على خير يا معالى الباشا .

ـ وأنت من أهله يا سعادة الباشا .

وانتهت المكالمة والتفت الباشا إلى شهاب وقال له :

ـ إنه سيعينك فى مكتبه .

وهب شهاب واقفا وانكب على يد الباشا الذى أسرع وسحبها وهو يقول :

ـ لماذا هذا؟ إن ما فعلته أمر طبيعى .

وأخرج الباشا من حافظته بطاقة، وكتب فيها توصيته، وأعطاها لشهاب وهو يسأله :

ـ متى تستطيع أن تسافر؟

قال شهاب :

ـ بكرة إن شاء الله من الفجر .

وراح الفتى وأبوه يدعوان للباشا بطول العمر وبكل سعادة وهناء . . .

❋ ❋ ❋

الفصل الرابع

وفى الصباح الباكر سافر شهاب متولى وهدان إلى مكتب وزير الزراعة. ولقيه السكرتير الخاص فتحى مبروك وسأله عما يريد فقال:

ـ أنا آت من قبل فؤاد باشا الجوينى، وقد كلم معالى الوزير أمس تليفونيا، وهذه بطاقة من الباشا لمعالى الوزير.

ـ انتظر قليلا . .

ودخل فتحى إلى مكتب الوزير وما لبث أن عاد ليأذن لشهاب بلقاء الوزير.

ولم يكن شهاب هيابا من هذا اللقاء، فلقاءاته لفؤاد باشا جعلته مهيأ للقاء ذوى الوجاهة والنفوذ قال له الوزير:

ـ أنت خريج هذا العام أليس كذلك؟

ـ نعم يا معالى الباشا.

ـ سأعينك فى مكتبى كما وعدت فؤاد باشا، وسيخبرك الأستاذ راشد حمدى الجوهرى مدير مكتبى عن اختصاصاتك، فهو الذى سيكون رئيسك المباشر.

ـ شكرا يا معالى الوزير ، ربنا يطيل عمرك . أستأذن أنا .

ـ انتظر دقيقة .

ودق الوزير أحد الأجراس المصفوفة على مكتبه وسرعان ما دخل فتحى مبروك .

ـ أوامرك يا معالى الباشا .

ـ اكتب قرار تعيين للأستاذ . ما اسمك؟

ـ شهاب متولى وهدان يا معالى الباشا .

واستأنف الوزير أوامره :

ـ واصحبه للأستاذ راشد الجوهرى وقل له إننى عينته بمكتبى .

ـ أمرك يا معالى الباشا .

ـ مع السلامة .

ولكن شهاب أصر أن يعيد الدعاء .

ـ ربنا يطيل عمرك يا معالى الباشا وأرجو الله أن أكون عند حسن ظنك بى .

وقال الوزير :

ـ ادع لفؤاد باشا فهو صاحب الفضل عليك . مع السلامة .

وخرج فتحى وشهاب من مكتب الوزير . ولم يتوان فتحى فى تنفيذ التعليمات التى صدرت إليه من الوزير ؛ فصحب شهابا إلى راشد

الجوهرى وقدم إليه شهابًا، وأخبره أن معالى الوزير أمر بتعيينه بالمكتب، وكان راشد رجلا طويل القامة عريض الكتفين فى غير سمن، بينما كان فتحى نحيفا غاية النحافة، أما شهاب فكان ممشوق القوام منسجم القسمات لا هو بالطويل ولا القصير كما أنه ليس بالنحيف ولا الممتلئ.

قال له راشد:

ـ يا مرحبا يا أستاذ شهاب ما شهادتك؟

ـ زراعة يا أفندم.

ـ عليا أم متوسطة؟

ـ عليا يا أفندم.

ـ عظيم ستعين إذن على الدرجة السادسة.

ـ المهم أن ترضى سعادتك عنى يا أفندم.

ـ اقعد.

والتفت إلى فتحى وقال له فى صيغة أمر:

ـ اذهب أنت يا فتحى واستوف إجراءات التعيين.

ثم قال لشهاب:

ـ تحضر غدا مسوغات التعيين.

وسارع شهاب قائلا:

ـ جاهزة كلها ياسعادة البك.

ـ على بركة الله .

وخرج فتحى ، وانفرد راشد بشهاب وسأله :

ـ من الذى أوصى بك؟

ـ فؤاد باشا الجوينى يا سعادة البك .

ـ ومن أين يعرفك؟

ولم يتردد شهاب فى الإجابة بل سارع قائلا :

ـ أبى يعمل فى دائرته .

ـ ماذا يعمل؟

ـ مساعدا للناظر .

وأبى أن يقول خولى حتى لا يهون أمره أمام رئيسه الجديد ، وحاذر أن يكذب ويدعى أنه ابن الناظر خشية أن ينكشف أمره فقد توسم فى راشد الذكاء والفطنة وأدرك أنه ليس من السهل أن يغرر به . وسأله راشد :

ـ وماذا تريد أن تعمل؟

ـ والله الأمر يرجع لسعادتك .

وبسرعة فائقة راح يدور فى ذهن راشد : إننى أستطيع أن أصنع من هذا الولد عجينة فى يدى أشكلها كما أريد ، فأنا أحتاج فى معاملة التجار إلى شخص يساعدنى ويرضى بالقليل ، ولا أستطيع أن أعتمد على فتحى فى هذا الأمر ؛ فهو مشغول مع الوزير من ناحية وهو من ناحية أخرى سيطمع فى مبالغ كبيرة معتمدا على قربه من الوزير ، وأنا أيضا لا أثق به

فقد يبلغ الوزير بما أصنعه مع التجار؛ إذا لم ينل ما يطمع فيه وعلى كل حال سأجرب شهاب فى عمليات بريئة حتى إذا وفق فيها أجربه فى عمليات أخرى صغيرة حتى أطمئن إليه تماما وأدخله بعد ذلك فى كل العمليات.

ـ اسمع ما دمت حاصلا على الزراعة العليا ما رأيك أن تختص أنت بالتعامل مع التجار الزراعيين الذين يشترون محاصيل الوزارة؟

ـ بارك الله فيك يا سعادة البك، إن شاء الله سترضى عنى فى هذا العمل وخاصة إننى على خبرة بهذا الاختصاص، فكثيرا ما شهدت ممارسة أبى لبيع محاصيل الدائرة.

ـ على شرط.

ـ شروطك أوامر.

ـ أن تجعلنى على علم بكل صغيرة وكبيرة فى تعاملك.

ـ طبعا يا سعادة البك.

ـ هذا الاختصاص يحتاج إلى أمانة كبيرة وذكاء شديد وسأجربك فيه.

* * *

الفصل الخامس

أصبح شهاب معاونا لراشد فى العمليات المتصلة بتجارة المحاصيل من وزارة الزراعة؛ فانفتحت له أبواب الثراء على مصاريعها؛ فقد كان راشد يأخذ من هؤلاء التجار أموالا فادحة أخفى أمرها عن شهاب بعض الوقت، ثم ما لبث شهاب أن عرف الحقيقة ممن يكلفه راشد باصطحابهم إلى المزارع على اختلاف أنواعها. وفى أول مرة يصحب فيها تاجرا فوجئ عند انتهاء الزيارة بالتاجر يعطيه خمسين جنيها. وتمنع شهاب أن يأخذ هذا المبلغ الخطير بالنسبة إليه؛ فإذا بالتاجر يلح عليه قائلا:

ـ يا ابنى أنت مازلت جديدا لا تعرف ما تجرى عليه الصفقات مع الوزارة.

ـ ولكن لن آخذ شيئا، وأنا أقوم بعمل هو وظيفتى ولا أستحق شيئا إلا مرتبى.

ـ لا تتفلسف واسمع الكلام وبكره ستعرف أن هذه هى قواعد اللعبة.

ـ لا أستطيع.

ـ اسمع الكلام.

وأخذ شهاب المبلغ وقد انتوى فى نفسه أمرا، وصمم عليه؛ فقد خشى أن يكون راشد هو الذى أوحى للتاجر بأن يعطيه هذا المبلغ ليمتحن أمانته؛ فما إن انصرف التاجر حتى قال شهاب لراشد:

ـ تفضل سعادتك.

وقدم له الخمسين جنيها وقال راشد:

ـ ما هذا؟

ـ المبلغ الذى أعطانيه الحاج عطية التاجر.

وانفرجت شفاه راشد عن ابتسامة عريضة جاوبتها فرحة فى مشاعره، إنه كان صادق النظر فى أمر شهاب وقال له:

ـ ولم تعطينيها؟

وفى خبث شديد قال شهاب:

ـ وماذا يمكن أن أفعل غير هذا؟

ـ تأخذها ولا من شاف ولا من درى.

ـ أيجوز لى هذا؟! كيف يصح أن أصنع شيئا ولا أخبرك به؟

ـ مبروك عليك الخمسون جنيها وأبشر بمستقبل لم تكن تحلم به فى وظيفتك الجديدة إن شاء الله.

* * *

وهكذا فتح شهاب لنفسه أوسع الأبواب بهذا التصرف الذى يبدو بسيطا، بينما هو بعيد الدلالة بالنسبة لراشد؛ فقد فهم منه أولا أن شهابا

لن يرفض الرشوة بل هو يقبلها ويقبل مبالغ ضئيلة؛ فهو لن يثقل عليه فى أنصبته مما يأخذه هو من التجار، وهو أيضا يصارحه بكل ما يحدث بينه وبين المتعاملين مع الوزارة. وما لبثت الأمور أن سارت كما شاء لها راشد الجوهرى فأصبح شهاب هو وحده الذى يصحب التجار إلى المزارع وكانوا جميعا يقدمون مبالغ تتراوح بين خمسين ومائة جنيه، وأصبح على وعى تام بما يحدث فى مكتب راشد؛ فقد كان التاجر الذى يأمنه راشد على سره، يعرف أعلى العطاءات السرية ويقدم عطاء مرتفعا عن أعلى عطاء بمبلغ صورى زهيد، ويصحب هذه الدراية مبلغ ضخم يدفع لراشد، وحين تأكد راشد أن شهابا عرف السر أصبح يعطيه جزءا من المبلغ الذى رشاه به التاجر.

وسارت الأيام رغدا لشهاب بصورة لم تكن تخطر له على بال، وتوثقت الصلة بينه وبين راشد الذى يدعوه فى كثير من الأوقات ليتناول الغذاء أو العشاء بمنزله؛ وكان هذا المنزل شقة أنيقة فى عمارة فخمة بجاردن سيتى، وكان أثاث الشقة فاخرا بصورة لم يتصور شهاب أن الفضل فيها يرجع إلى راشد. وحين رأى شهاب زوجة راشد السيدة مها مرسى وشاهد ما هى عليه من أناقة عرف السر فى هذا الأثاث الفاخر الذى أذهله فى أول مرة زار فيها رئيسه، وقد كان شهاب على دراية بأناقة الأثاث مما كان يشهده بمنزل فؤاد باشا الجوينى؛ سواء فى بيته بالبلدة أو فى قصره بالقاهرة الذى كثيرا ما صحب أباه إليه.

كانت زوجة راشد أنيقة رفيعة الذوق؛ الأمر الذى يبلوره أثاث البيت كما يظهر بوضوح فيما ترتديه من ملابس أو ما تختاره لنفسها من حلى غاية فى الجمال، ولم يكن شهاب يعنى كبير عناية إن كانت هذه الحلى

أصيلة أو غير أصيلة، ولكن الذى أدهشه أن هذه الملابس والحلى لم تستطع أن تجعل مها هانم سيدة جميلة، فلو أنها استبدلت بفاخر الملابس والحلى الجميلة ملابس أقل شأنا ولو أنها لبست الحلى البسيطة التى لا تتسم بالإبهار، لو أنها فعلت هذا لما توقف عندها نظر الناس لحظة من زمن، سواء كان هؤلاء الناس رجالا يبحثون عن الجمال أو كن نساء يبحثن عما يثير فيهن الغيرة أوا لحسد.

ولم يعرف شهاب أن راشدا تزوجها لأنها فى مكانة ابنة عمه؛ ولأن والدها على شىء من الثراء ولكنه ثراء متواضع إلا أنه بالنسبة لراشد كان كافيا لأن يختارها زوجة له وقد رزق الزوجان بابنين وابنة؛ أما الابنان فقد تخرج أحدهما وهو مرسى الذى يحمل اسم جده لأمه فى كلية الهندسة، وأما الآخر فهو حمدى المسمى على اسم جده لأبيه فقد تخرج فى كلية الحقوق، وأما الابنة فقد رآها شهاب فى إحدى زياراته وعرف اسمها «سعاد» على اسم جدتها لأمها وكانت فتاة رشيقة وكان طبيعيا ألا يتوافر لها أى نصيب من الجمال؛ فلا الأب يستطيع أن يمنحها إياه ولا الأم بقادرة أن تعطيها أى مسحة منه، ولعل هذا الحرمان من الجمال هو الذى جعلها متفوقة فى دروسها، وقد كانت حين رآها شهاب فى السابعة عشر من عمرها توشك أن تنتهى من المرحلة الثانوية وتعد نفسها للالتحاق بكلية الطب، ولكن الأمر الذى أدهش شهابا أن راشدا مع قبح زوجته لم يكن عربيدا أو باحثا عن النساء؛ بل كان فيما عدا الرشى التى يقبضها من التجار رجلا محافظا كل المحافظة على دينه ويقيم الصلوات فى مواقيتها ويصوم رمضان ويكثر من التردد على أولياء الله الصالحين، وقد استطاع أن يجذب شهابا إلى هذا المضمار وانجذب شهاب ليرضيه، أما هو فى داخل نفسه فلم يكن يشعر بذرة من الإيمان أو بفائدة تعود عليه

من هذه العبادات وإنما يسير فى هذا الطريق إرضاء لرئيسه راشد وليس غير.

وقد عجب من هذا الحفاظ على فرائض الإسلام من راشد وكان مبعث عجبه أمرين: أولهما؛ قبوله للسحت والمال الحرام مع هذا الحرص الشديد على طاعة الله ورسوله، وثانيهما؛ زهده فى النساء مع قبح زوجته. ولكن هذا العجب بشقيه ظل دفينا فى نفس شهاب لا يبين عنه، وهو عجب قد يسرى فى خبىء النفس، وهو بطبيعته غير قابل أن يكشف عنه خوافى نفسه أو يبين ما استسر بها من مشاعر.

* * *

الفصل السادس

قامت الثورة وأوشكت أن تمسك بتلابيب كل المصريين لا تترك منهم أحدا. تغير وزير الزراعة وأطاح الوزير الجديد بفتحى السكرتير الخاص وبراشد مدير المكتب، أما شهاب فقد ظل فى مكانه لهوان أمره فما كان أحد يشعر به، ولم يسارع الوزير الجديد بتعيين سكرتير خاص له أو مدير مكتب؛ فكان حتما أن يتولى شهاب أعمال السكرتير وهو واثق أنه يقوم بها بصفة مؤقتة ومرت أيام وهو يتوقع فى كل لحظة أن يعين الوزير الجديد سكرتيرا له إلا أنه فوجئ فى مرة كان يعرض فيها على الوزير بعض الأوراق؛ وإذا بالوزير يسأله عن شهادته وعن عمل أبيه وعن كل شأن من شئونه الخاصة، وكان شهاب مع الذعر الذى شاع فى الحياة حريصا كل الحرص أن يكون صادقا غاية الصدق فيما أدلى به من معلومات، ويبدو أن الوزير لم يجد فيما سمع من سكرتيره ما يمنع أن يظل سكرتيرا له وكانت مفاجأة مذهلة لشهاب أن طالعه الوزير بعد الأسئلة العديدة التى وجهها إليه بقوله:

ـ أنا سأبقى عليك سكرتيرا.

وفى دهشة فرحة قال شهاب:

ـ تحت أمرك يا أفندم .

ـ ولكن هناك شروطا .

ـ تحت أمرك يا أفندم .

ـ ما يجرى هنا لا يعرفه أحد فى الخارج حتى وإن كان أباك .

ـ طبعا يا أفندم .

ـ الشرط الثانى أن تكون صادقا معى غاية الصدق وتطلعنى على كل شهيق أو زفير لكل الموظفين أو الزوار أو أى أحد تعرفه .

ـ هذا أمر مؤكد يا أفندم .

ـ ومقابل هذا سأبقى درجة مدير المكتب خالية حتى أتأكد من تنفيذك لهذه الشروط بكل دقة .

ـ ربنا يطيل عمر سيادتك يا أفندم .

ـ وسأبدأ الآن .

ـ تحت أمرك يا أفندم .

ـ ما الذى تعرفه عن مدير المكتب السابق راشد حمدى الجوهرى؟

ولم تستغرق الإجابة من شهاب كثير تفكير ، فإن أى مساس براشد سيأخذ بخناقه هو أيضا ، فكلاهما فى شبكة واحدة فما أسرع ما قال :

ـ رجل طيب .

ـ ما معنى طيب؟

ـ أولا ، لابد أن أقول لسيادتك إنه لم يكن له شأن بالوزير السابق ، فأسرار الوزير كانت كلها مع فتحى ، أما الأستاذ راشد فكان صورة فقط ونادرا ما كان يدخل إلى الوزير أو يستدعيه الوزير ، وهو إلى جانب هذا رجل يصلى ويصوم ولم أر عليه طوال مدة خدمتى معه أى شىء يشينه .

ـ هل هو من الإخوان المسلمين؟

ـ أعوذ بالله يا سيادة الوزير إنه لا شأن له بهذه الجماعة أبدا ، إنه رجل يرتعد إذا انفجرت عجلة سيارة .

ـ إذن ننقله . . . أين تظن المكان الذى يصلح له؟

ـ والله أعتقد أن طول مدة خدمته بالوزارة ترشحه أن يعمل فى شئون الموظفين .

ـ والله فكرة لا بأس بها ؛ اكتب قرارا بنقله بدرجته إلى شئون الموظفين .

ـ أمرك يا أفندم .

ـ أما فتحى فلن أرفته إنما قل لى من أى بلد هو؟

ـ أظن أنه من طنطا يا سيادة الوزير .

ـ إذن ننقله إلى جرجا .

ـ أحسن من الرفت على كل حال .

ـ اكتب قرارا بهذا.

ـ أمرك يا سيادة الوزير.

* * *

طبق قانون الإصلاح الزراعى على فؤاد باشا الجوينى طبعا، ولكنه لما كان رجلا بعيدا عن السياسة فقد أعتقه قانون الحراسات العشوائى واحتفظ الباشا بحدائق الموالح، وهكذا أصبح فى مقدوره أن يبقى على زكى النمر وعلى متولى وهدان فى وظيفتيهما وبنفس المرتب، وهكذا لم تؤثر الثورة على متولى وهدان تأثيرا سيئا؛ بل إنها مكنته من أن يحصل على وعد من موظفى الإصلاح أن ينال خمسة أفدنة من أرض الباشا التى وزعت على الفلاحين المعدمين، وما أيسر على متولى أن ينفق على موظفى الإصلاح الزراعى بضعة جنيهات ليجعلوا منه معدمًا ويغضوا البصر عن الفدانين اللذين يملكهما؛ الأمر الذى لم يفكر فيه زكى النمر؛ أولا لأمانته وثانيا للصعوبة البالغة التى ستواجه موظفى الإصلاح؛ فإن إخفاء فدانين لا يمكن أن يكون مثل إخفاء عشرة أفدنة.

وهكذا أصبح الشيخ متولى فى حالة مالية منتعشة. فسبعة أفدنة مع مرتب الباشا يعتبر بالنسبة له غنى أى غنى، ولكن مالا آخر كان فى الطريق إليه فقد كان قانون الإصلاح الزراعى يتيح لمن يملكون أكثر من نصابه أن يبيعوا فى حدود خمسة أفدنة لا تزيد للفرد الواحد وفى مدة محدودة وفى جلسة جمعت مع الباشا زكى النمر ومتولى وهدان قال الباشا:

ـ كم بعنا من الأرض الزائدة يا زكى أفندى؟

ـ حوالى ثلاثمائة فدان تقريبا يا سعادة الباشا.

ـ والله لا بأس . . . اسمع أنا عندى فكرة لماذا لا أبيع لك أنت خمسة أفدنة ومثلهم للشيخ متولى ومثلهم لكاتبى الحسابات بالدائرة بيعا حقيقيا نقوم بتسجيله دون أن أتقاضى ثمنا منكم ، ألستم أنتم أولى من الذين سيوزع عليهم الإصلاح الأرض ممن لا نعرفهم .

وقال زكى النمر ومتولى وهدان فى وقت واحد :

ـ أطال الله عمرك يا سعادة الباشا .

ـ هذه أقل مكافأة لكم على أمانتكم فى العمل . أبلغ كمال أفندى الكاتب بأن يحرر العقود الأربعة ويكتب الثمن مثل ما بعنا به الأرض الأخرى ويذكر فى العقد أننى قبضت الثمن كله .

ـ أمرك يا سعادة الباشا .

وفى مدة وجيزة تم الاستيلاء على أرض الباشا الزائدة وفى مدة وجيزة أخرى تسلم زكى النمر خمسة أفدنة من الباشا كما تسلم متولى وهدان أفدنة الباشا الخمسة ، ولم يمض كثير وقت حتى وزع المختصون من موظفى الإصلاح الزراعى الأرض على الفلاحين وصدقوا وعدهم لمتولى وتسلم خمسة أفدنة مثل الفلاحين الآخرين الذين وزعت الأرض عليهم .

وهكذا أصبح متولى يملك اثنى عشر فدانا الأمر الذى جعله يرسل لابنه شهاب أن يتوقف عن إرسال الجنيهات الخمسة التى كان يبعث بها فى كل شهر لأبيه ، وطبعا هو لم يخبر أباه بالأموال التى تنسكب عليه من التجار المتعاملين مع الوزارة ومن راشد الجوهرى ؛ فإن كانت الجنيهات الخمسة متوائمة مع مرتبه الضئيل إلا أنها لا تناسب بأية حال من الأحوال دخله الحقيقى .

* * *

الفصل السابع

ومرت السنون وتولى شهاب منصب مدير مكتب الوزير ، وأصبح هو المشرف على تعاملات الوزارة مع الغير فأصبح المال الذى كان يغتاله راشد يتدفق على شهاب وحده لا يشاركه فيه أحد، ولذلك لم يكن عجيبا أن يفكر شهاب فى الزواج. وهو لم يكن يذهب إلى مجتمعات. ولو كان يذهب ما شجعه هذا على طلب أى فتاة. فقد كان شرطه الوحيد الذى وضعه لمن يتزوجها أن تكون ذات ثراء يجعلها على الأقل مسئولة عن نفقات البيت، وقفز اسم سعاد راشد الجوهرى إلى ذهنه . . . ولكنها ليست على شىء من الجمال ولكنها أيضا ليست قبيحة وأستطيع أن أجد الجمال فى أماكن أخرى . . . أى أماكن . . . الأماكن التى أسمع عنها ولا أرتادها . . . الزوجة شىء والجمال شىء آخر . . . على الأقل لا تجعلنى أغير عليها، وأظل وأنا خارج البيت مطمئنا غاية الاطمئنان أن عرضى مصان. ولا تنس أنها أصبحت طبيبة، وهذا الأمر سيزيد من دخلها كما أنه سيشغلها عن مغامراتى التى أنوى بإذن الله أن أقوم بها . . . هى سعاد وليس أنسب لى من سعاد؛ وكان راشد الجوهرى قد بلغ سن المعاش ولا يعرف شهاب إن كا ن يعمل أم أنه متقاعد فى البيت . . .

توكل على الله وطلب راشدا فى ا لتليفون.

ـ آلـو . مـن؟

وعرف صوته فقال :

ـ تلميذك .

ـ شهاب .

ـ إذن لم تنسنى .

ـ أنت الذى نسيتنا يا خائن .

ـ أنا لا أنساك أبدا .

ـ أية مناسبة سعيدة جعلتك تفكر فى الاتصال بى؟

ـ هى سعيدة إن شاء الله ، متى أستطيع أن أزورك؟

ـ أى وقت ، فأنا كما تعلم على المعاش ووقتى كله ملكى .

ـ ربما تكون وجدت شركة تنتفع بخبرتك .

ـ والله هناك وعود ولم يتحقق منها شىء ، فأنا الآن لا عمل لى إلا المقهى فى الصباح والبيت بعد الظهر حتى اليوم التالى . متى تحب أن تجىء؟

ـ بكــرة .

ـ وهو كذلك ، الساعة السابعة تناسبك؟

ـ على بركة الله .

ـ أهلا وسهلا .

ـ أهلا بك . سلام عليكم .

وذهب شهاب فى الموعد المحدد وجلس فى حجرة الاستقبال الفاخرة مع راشد وما لبث أن جاء الخادم بالقهوة ، ولم يضع شهاب كثير وقت بل عاجل راشدا قائلا :

ـ أنا أجىء إليك كوالد لى أولا ، ثم بصفة ثانية سأطلعك عليها فى وقتها .

ـ مرحبا بك بأى صفة تريدنى فيها .

ـ ألا ترى أن الوقت الآن مناسب لى أن أتزوج .

ـ طبعا مناسب جدا . فأنت الآن ميسور الحال وأنا على علم بكل صفقاتك ، فأنا مازالت لى صلات بالوزارة والمتعاملين معها .

ـ أنا لا أشك فى هذا ؛ فلنتوكل على الله .

ـ وأنعم بالله وكيلا .

ـ أريد أن أتزوج الدكتورة سعاد .

ووضحت المفاجأة على وجه راشد ، وسرعان ما تغلب عليها وقال :

ـ ولم لا ؟ إنما هناك شىء لابد أن أذكره لك حتى أكون صريحا معك . أنا أعرف أنك لست أمينا فى عملك فى الوزارة ولا تقل لى أننى أيضا لم أكن أمينا ، ولكنى أنا بالذات حالة خاصة .

ـ كيف ذلك؟

ـ أنا استطعت أن أفصل تماما بين عملى فى الوزارة وبين حياتى

الخاصة، ولا أعرف إنسانا مثلى؛ فإنى لم أخن زوجتى فى حياتى مطلقا مع أنك لاحظت أنها غير جميلة. لا تعجب فقد تبينت هذا فى عينيك منذ أول يوم قابلتها. فأنا شخصيا مثال فردى لا يقاس عليه ولا يتوسع فيه.

ـ ولماذا لا أكون مثلك؟

ـ يا شهاب يا ابنى أنا رجل عركت الحياة؛ فإن لم تنتفع ابنتى من خبرتى فهى إذن خبرة لا قيمة لها. سعاد ليست جميلة ومالها ليس بالكثرة التى تتصورها. فهى ستساعد فى مصاريف البيت ولكن بقدر معلوم، وقد تكسو نفسها ولكنها لن تكسوك.

ـ هذا كلام معقول وأنا أرحب به، ولا أريد أكثر منه.

ـ أخشى أنك تقول هذا الآن، ثم تنساه.

ـ أنت رجل تعرف الله، فتوكل عليه.

ـ توكلت على الله، ولكن لابد أن أسأل سعاد.

ـ طبعا وإذا وافقت، فسأذهب إلى أبى وأمى وآتى بهما ليخطبا لى ويباركا زواجى.

ـ هذه علامة طيبة.

ـ أنت تعرف ماذا يعمل أبى، ولن يكون غريبا أن ترى أبى يلبس جلبابا وأمى متوشحة بالطرحة.

ـ من ينس أباه ينسه أبناؤه، وأنت رأيت سعاد أكثر من مرة ورأتك، ولكن لا أظن أنها فكرت فيك كخاطب لها سيصبح زوجا، والزواج

صلة لا مثيل لها فى كل الصلات الأخرى، ولا يشبهها أى آصرة، فأنا سأسألها وربما طلبت أن تجلس إليها.

ـ أنا تحت أمرك وأمرها.

* * *

ولم لا.. إن هذا الشاب يخطبنى لذاتى؛ فأبى لم يعد رئيسا له ولا لأحد غيره، ولماذا أرفضه..؟ أنا أعلم أننى لست جميلة، وقد عوضت هذا بنبوغى فى العلم وهو أيضا فى مركز مرموق ومن المرات التى رأيته فيها تبين لى أنه ذو ذكاء وحدة بادرة، وليس سخيفا فى تعليقاته أو حديثه، وشكله لا بأس به، وملامحه متناسقة وإذا أكل فبطريقة متحضرة نظيفة؛ وذلك يدل على ذكائه الذى جعله يتعلم كيف يأكل بالشوكة والسكين؛ فلا يجعل الذى يؤاكله ينفر منه أو يتقرف. الواقع أنه لا بأس به، وأنا لا أتوقع لنفسى خيرا منه. وقالت لأبيها:

ـ هل أنت راض عنه؟

ـ المهم رضاك أنت.

ـ على بركة الله.

وقال راشد لشهاب:

ـ على بركة الله.

وفرح شهاب وسارع قائلا:

ـ متى أحضر أبى وأمى؟

ـ اليوم الاثنين، لنجعل الخطبة يوم الخميس إن شاء الله .

ـ وهو كذلك .

* * *

فرح متولى وتفيدة بقدوم ابنهما ؛ فقد كان قليل الزيارة لهما رغم أنه اشترى سيارة، وبعد الاحتفاء به قال لأبيه وأمه سبب مجيئه ؛ وفرح أبوه غاية الفرح أما أمه فلم يكن فرحها عظيما كأبيه .

ـ ألم تكن واحدة من قريباتنا أولى بك؟

وأجاب عنه متولى :

ـ يا شيخة اسكتى . ومن فى قريباتنا تستحقه . إنه يقول لك إن عروسته دكتورة ألا تفهمين معنى دكتورة؟ وأبوها كان رئيسا له فى الوزارة يعنى بك .

وقالت تفيدة :

ـ هذا يوم المنى عندى . نريد أن نفرح بأولاده .

وقال متولى :

ـ هذا هو الكلام، زغردى يا أم شهاب . . زغردى .

وقال شهاب :

ـ طبعا ستصحبانى لتخطبا لى .

وقال متولى فى بعض حذر :

ـ أترى ذلك؟!

ـ بل لابد من ذلك.

ـ وأذهب بالجلباب وأمك بالطرحة.

ـ وهل قلت لهما إننى ابن باشا أو بك. إن راشد بك وأسرته يعلمون جميعا أننى فلاح وابن فلاح وفلاحة، وإذا لم تخطب لى أنت وأمى فلن تكون هناك خطبة. كيف تتم إجراءات الخطبة إذا لم تخطب أنت وأمى أطال الله عمركما؟

ـ على بركة الله.

وقالت تفيدة:

ـ تعيش يا ابنى. وهل نتمنى أنا وأبوك شيئا أجمل من الخطبة لك.

ـ اليوم الثلاثاء. بكره إن شاء الله نسافر فى الصباح.

ـ وهو كذلك.

وفى المساء ذهب متولى إلى الباشا وأخبره، فأصر الباشا على حضور الخطبة.

اشترى شهاب شبكة بخمسمائة جنيه، وكانت شيئا مشرفا له ولعروسه أمام كبار القوم الذين دعاهم راشد لحفل الخطبة، ولو أنهم لم يكونوا كثيرين، ولم يخبر متولى أحدا إلا الباشا، أما شهاب فهو الآخر قد أخبر الوزير الذى يعمل مديرا لمكتبه ووعد بالحضور، ولكنه لم يحضر ودعا شهاب اثنين فقط من زملائه فى العمل هما حماد شريف صديقه

اللصيق ويسرى خطاب سكرتير الوزير منذ أصبح شهاب مديرا للمكتب .

وفى أثناء الحفل دعا فؤاد باشا شهابا إلى غرفة جانبية وأعطاه ظرفا قائلا :

ـ لم يتسع وقتى لشراء هدية ، خذ هذا واشتر أنت وعروسك ما تريدان .

وتناول شهاب الظرف وهم بتقبيل يد الباشا وهو يفهم أن الباشا لا يقبل أن يقبل يده أحد ولهذا لم يكن عجيبا أن يختطف الباشا يده قائلا :

ـ يا شهاب أنت ابنى مثل عمر وعلى .

ـ أطال الله عمرك يا سعادة الباشا وأسعدك بعُمَر بك وعلى بك وعائشة هانم .

ـ شكرا يا ابنى .

وقام الباشا ليعود إلى الآخرين وتبعه شهاب وخالطوا المدعوين ، وبدأت مراسم الخطبة ولكن شهابا كان مشغولا عن دوره المفروض أن يقوم به بهذا الظرف الذى أعطاه له الباشا . . . كم يحوى هذا الظرف يا ترى؟ كان توقه إلى معرفة المبلغ الذى يحويه الظرف يأخذ عليه تفكيره كله ، ليس للمبلغ فى ذاته ولكن ليعرف إن كان الباشا مازال كريما كشأنه وهل مازال غنيا قادرا أم قصم الإصلاح الزراعى ظهره فأصبح لا هو بالكريم ولا هو بالقادر .

تمت إجراءات الخطبة فى شكلها المرسوم وكان شهاب وعروسه وأهل

عروسه جميعا قد ملأهم الزهو بالشبكة التى قدمها العريس، وهكذا نال شهاب ما كان يصبو إليه من تفاخر بفخامة الشبكة . .

الوحيد الذى مسه كثير من العجب والدهشة هو متولى أبو العريس؛ من أين جاء شهاب بثمن هذه الشبكة التى بهرت المدعوين جميعا؟! إنه حتى لم يطلب منى أى مساعدة مالية. ربما عاونه حموه حتى يتاح له الزهو بالشبكة أمام المدعوين . . هذا هو الأرجح، فالعروس وإن كانت دكتورة إلا أنها من المؤكد أنها ليست جميلة، وليس عجيبا أن يعاون أبوها خطيبها لتكون الشبكة غالية الثمن إلى هذا الحد. وكانت بجواره زوجته تفيدة، فإذا هى تلكزه بمرفقها سائلة زوجها :

ـ ما رأيك فى العروس؟

ـ ليس الآن.

ـ ومن أين أتى شهاب بهذه الشبكة التى بهرت المدعوين؟

ـ قلت لك ليس الآن.

ـ على كل حال ربنا يزيده . . هل أعطيته أنت شيئا؟

ـ لو كنت أعطيته لكنت أنت أول من يعرف.

ـ عجيبة . . . ربنا يكثر ماله.

ـ آمين.

ـ آمين على أن يكون حلالا.

ـ آمين وخلاص يا تفيدة.

وانتهت مراسم الخطبة وصحب شهاب أباه وأمه إلى بيته الذى لم يتمكنا من رؤيته على حقيقته فى الليلة السابقة التى باتا فيها عنده؛ فقد خرجا فى صباح يوم الخطبة ليزورا أولياء الله الصالحين، وأصر شهاب أن يدعوهما ليكون غذاؤهما كبابا فى سيدنا الحسين. وحين عادا إلى شقة شهاب بعد الظهيرة لم يكن الوقت متاحا ليسأله أبوه وأمه الأسئلة التى وجهاها إليه بعد حفل الخطبة.

ـ الشقة عظيمة من أين لك كل هذا يا ولد؟

ـ خير الله كثير والحمد لله.

وقالت أمه:

ـ على أن يكون من الله لا من الشيطان.

ـ اطمئنى يا أمه.

ـ والشبكة التى بهرت الأكابر الذين كانوا مدعوين؟

ـ الذى يهمك أنت وأبى أن يكون المال حلالا وهو حلال وأنا لم أطلب من أبى شيئا.

ـ أنت لم تطلب وعلى كل حال أنا مستعد أن أساعدك بالذى تطلبه.

ـ أعرف هذا ولكن لماذا مادامت مستورة؟

ـ الواقع أن أمورك أكثر من مستورة بكثير.

ـ بركة دعواتك أنت وأمى.... دقائق ويكون العشاء جاهزا.

وقالت أمه:

ـ أى عشاء . . . أنت جوعان يا متولى؟

ـ أبــدا .

ـ وهل بعد الذى أكلناه من حلوى عند العروس يمكن أن نأكل شيئا . هذا من رابع المستحيلات .

ـ إذن تصبحان على خير .

وتركهما فى غرفتهما وسارع إلى حجرته ؛ ليخلو إلى الظرف الذى أعطاه له فؤاد باشا الجوينى .

ـ يا قوة الله ثلاثمائة جنيه . . . أولاد الكلب . . هؤلاء لا ينفع معهم لا إصلاح زراعى ولا إلغاء الرتب ولا حكم عسكرى . . . الرجل يقدم هذا المبلغ الفادح هدية لى ؛ ليجعلنى أتأكد أنه مازال السيد صاحب الأفضال وأنه قادر . . وأنه مازال صاحب الغنى والأموال . إلى متى سيظل أولاد الكلب هؤلاء سادة ويدهم هى العليا . . . إلى متى . . . ؟!

* * *

الفصل الثامن

أنجب شهاب وسعاد ولدا وبنتا، وأسميا الولد أمجد والبنت فضيلة، ولكن شهاب لم يكن بالزوج المثالى صاحب الفضيلة؛ فقد كان يضيق بالبيت ويبحث لنفسه عن تسلية مع صديقه حماد شريف.

تغير الوزير الذى كان شهاب مديرا لمكتبه وجاء وزير جديد، ولم يغير شهابا لأنه كان لا يعرف أحدا فى الوزارة وارتأى أن يجرب شهابا، واستطاع شهاب فى دربة ومران أن يكتسب ثقة الوزير سواء كان ذلك فى أعمال الوزارة أو فى الأعمال الخاصة، فما هو إلا بعض الوقت حتى رقى شهاب إلى درجة مدير عام، وظل على صلته بالمتعاملين مع الوزارة ولم تثر حول الرشى التى كان يقبضها أى إشاعات، وكان التجار أشد ما يكونون حرصا على بقاء شهاب فى اختصاصه، وكان هو على ذلك أحرص؛ ولذلك لم يفعل مثل سلفه راشد الجوهرى الذى أشركه معه عند أول تعيينه. فقد كان شهاب مصرا على أن ينفرد هو بهذا الاختصاص حتى لا يسلبه أحد شيئا مما ينهمر عليه من مال.

حين رقى شهاب إلى درجة مدير عام، أنبأ سعادا بالخبر وهما على

مائدة الغداء وفرحت به فرحا شديدا كما فرح أمجد وفضيلة، وقالت سعاد:

- لابد من هدية لأمجد ومثلها لفضيلة.

- اشترى أنت الهدايا التى تريدينها وأنا علىّ أن أدفع ثمنها.

- ألا تسهر معنا الليلة لنحتفل بك؟

- نحتفل بكره على الغداء، أما اليوم فإنى على موعد مهم.

وقالت سعاد فى أسى:

- فى المقهى؟

- فى هذه المقهى أتمم أعمالا فى غاية الأهمية، ثم إنك لابد ذاهبة إلى المستشفى، ففيم تريدين بقائى؟

- كنت سأعتذر عن الذهاب إلى المستشفى.

- اعتذرى وابقى مع ابنيك، فهما لا يكادان يريانك وأنت أوكلت أمرهما إلى المربية عظيمة.

- إنك أنت الذى لا نراك إلا على الغداء وكثيرا ما تتغيب حتى عن الغداء.

- أنا لا أتغيب إلا حين يكون الوزير فى الوزارة. هل تتصورين أننى أترك الوزير فى الوزارة وأقول له عن إذنك أنا ذاهب لأتغدى مع أسرتى؟

- أنا أعلم أنه لا فائدة من المناقشة معك، افعل ما تريد وعلى كل حال مبروك.

ـ بـارك الله فيـك .

وفى المقـهى تلقفـه حـماد شـريف والأصـدقـاء الآخرون بالتـرحـاب والتهليل وحين انتهى احتفال الصحاب اجتذبه حماد إلى مكان ينفردان فيه وقال له :

ـ معك فلوس؟

ـ معى .

ـ أنا متأكد أن جيبك دائما عامر بالمال .

ـ أنا تحت أمرك .

ـ أخطأت فهـمى . أنا الليلة معـد لك سـهرة ستظل تحلف بهـا طول عمرك .

ـ أين؟

ـ اترك لى الأمر . . . هيا لنقعد مع الصحاب .

ـ ومتى تبدأ السهرة؟

ـ لا تخف مازال الوقت مبكرا على بدئها .

* * *

صحب حماد شهابا إلى كباريه ليالى الفرح وشاهدا العرض ، وبعد العرض سعى حماد إلى الراقصة فتنة لتجالسهما ، وبهذه المجالسة بدأت لشهاب حياة جديدة .

* * *

الفصل التاسع

بهر شهاب بفتنة وكانت تصغره بسنوات ليست كثيرة، وحين خرج من الكباريه بصحبة حماد قال له:

ـ واضح أن هذه ليست أول مرة تأتى فيها إلى هنا.

ـ أتيت قبل اليوم مرات قليلة.

ـ ولماذا لم تصحبنى؟

ـ هل جننت؟! كنت سكرتير الوزير فى حكومة مخابرات، لو عرفوا أنك تأتى إلى هنا فالله أعلم بالعواقب.

ـ لك حق، الأمور اليوم فيها انفراج كبير.

ـ هل أعجبتك السهرة؟

ـ أنا مصمم على المجىء إلى هنا أغلب أيام الأسبوع.

ـ من أجل فتنة فقط أم من أجل الجو العام؟

ـ فتنة أهم ما فى هذا الجو العام.

ـ البنت هبلتك.

ـ أنعم وأكرم بهذا الهبل.

* * *

منذ ذلك اليوم وشهاب لا يكاد ينقطع عن الذهاب إلى الكباريه والجلوس إلى فتنة سواء كان حماد معه أم لم يكن.

وعرف أن فتنة فتاة نالت قدرا من التعليم صحبه قدر كبير من البؤس حتى التقت فى بيت إحدى صديقاتها بالراقصة الشهيرة ناهد فكرى، وطبعا كانت شهرتها ناهد فقط. وكانت ناهد فى سن لا تسمح لها بالبقاء على مسرح الرقص فترة كبيرة وكانت تملك الكباريه الذى تعمل به. فانتهزت من فتنة فرصة لا تعوض؛ فقد رأت فيها فتاة فى ريق العمر تتمتع بقسط وافر من الجمال والنضارة، وكانت ظروف فتنة تجعلها ترحب بما عرضته عليها ناهد من العمل كراقصة لديها بالكباريه.. وماذا سأخسر؟ لست ابنة أسرة كبيرة تحافظ على اسمها، أما شرفى فأنا قادرة على المحافظة عليه ولكن ربما أجد فى الزبائن من يتزوجنى وليس هذا شيئا بعيدا، وهكذا قبلت فتنة ما عرضته ناهد، وبدأت حياتها كراقصة ما لبثت أن نالت إعجاب من يرتادون الملهى، وحرصت فتنة أن تقوم بكل ما تقوم الراقصات به من مجالسة ومشاربة كما حرصت أن تمتنع فى حزم عن مصاحبة أحد إلى ما يدعوها إليه.

وكان بين الرواد عادل صبرى الذى كان يحمل رتبة بك قبل أن تلغى الرتب، وكان مولعا أشد الولع بفتنة ولم يكن شابا بل كان رجلا فى الخمسين من عمره، له ابنان متخرجان فى الجامعة وكان على قدر من

الثراء، فقد كان من القليلين الذين يوردون الأحذية إلى روسيا. وقد بذل كل جهده المصحوب بعروض مالية تغرى مثيلات فتنة إغراء شديدا. ولكنها أصرت على التمسك بعرضها رغم العروض الخيالية التى قدمها إليها عادل بك صبرى والتى كانت تعلم أن بوسعه المالى أن يجعل هذه العروض حقيقة لا شك فيها، وكان الحفاظ على شرفها هذا يزيد من جنون عادل بك بها، وربما كان هذا الجنون بها هو الذى ترمى إليه فتنة؛ فمع أنها كانت فى سن باكرة إلا أنها كانت حريصة ألا يكون مصيرها كمصير الراقصات اللواتى يرخصن أنفسهن حتى إذا علت بهن السن أصبحن كالخرقة الممزقة تعافهن النفوس، ويهرب منهن الأصدقاء القدامى الذين كانوا يرتمون تحت أقدامهن.

وهكذا لم يجد عادل وسيلة معها إلا أن يعرض عليها الزواج.

ـ أهذا معقول؟

ـ ولماذا لا يكون معقولا؟

ـ وزوجتك وأولادك؟

ـ لا شأن لك بهم.

ـ إذن لى شرط.

ـ كل شروطك مقبولة.

ـ أن أظل فى عملى.

ـ وما حاجتك إلى عملك وأنت ستكونين فى غنى عنه كل الغنى؟

ـ أنا لى اسم وشهرة والزبائن تحب رقصى ، وقد تطلقنى ؛ فيكون من الصعب كل الصعوبة أن أستعيد ما أتمتع به اليوم من شهرة .

ـ إذن موافق على أن تقبلى شرطًا لى .

ـ ما هو؟

ـ ألا أعلن زواجنا ؛ فإنى أخشى بهذا الزواج أن أسيء إلى ولدى بين زملائهما من الموظفين ، أو قد يعوق هذا زواجهما ، وقد أصبح كلاهما موشكا على الزواج ، فأرجوك وأقبل يديك أن تقبلى هذا الرجاء ولا أسميه شرطا .

وفكرت فتنة لحظات وقالت :

ـ ربما كان رجاؤك خيرا ، فمادمت سأعمل فى الكبارية فالأحسن لى ألا يعرف الزبائن أنى متزوجة ؛ فهم لا يحبون المتزوجات .

ـ إذن اتفقنا .

وتم الزواج فعلا وكان عادل فرحا بهذا الزواج غاية الفرح وقد تمثلت سعادته فى إغداق المال على زوجته الجديدة ، أما فتنة فقد أسعدها المال ولم تلق كثير اهتمام إلى فارق السن بينها وبين زوجها .

وشأن رواد الكباريهات ما لبث عادل أن زهد فى زوجته الثانية ، وبدأ يبحث عن أخرى فى الكباريه ، ولم يكن الطريق وعرا ليجد أخرى ، وما يحدث فى الكباريه هيهات أن يكون سرا على العاملين فيه .

وانفجرت فتنة فى زوجها :

ـ رضينا بالهم والهم لا يرضى بنا .

ـ أما إنك حقا تربية كباريهات . أكل هذا العز الذى جعلتك تعيشين فيه هم؟

ـ لا تنس فارق السن بينى وبينك والعز الذى تقول عنه تعويض عن سنك وعن كونك زوجا لغيرى وأبا لولدين متخرجين .

ـ ماذا تريدين الآن؟

ـ أنا قبلت أن أكون زوجة ثانية ، ولكن لا يمكن أن أكون زوجة ثالثة .

ـ وهل أنا تزوجت؟

ـ سيكون هناك ثالثة على كل حال سواء بالزواج أم بغيره ، وهذا ما لا أقبله .

ـ المهم ما غرضك؟

ـ الطـــلاق .

ـ أنت طالق .

ـ مع السلامة ، ولا تنس المؤخر والنفقة .

ـ بجملة ما صرفته عليك .

وتم الطلاق وأعطاها المؤخر والنفقة الشهرية فى مبلغ واحد وأصبحت فتنة حرة مرة أخرى ، واستمر طبعا عملها فى الملهى الذى تعمل به ، وفى هذا الملهى عرفت شهابا وعرفها شهاب وجن بها .

* * *

الفصـل العاشر

عرف شـهاب أن فتنة ترفض العـلاقات غير الشرعية ، وكـان هذا الأمر قد أصبح شهيرا عنها ؛ أنهـا ترفض أى صلة غير شرعية ، وقد وصل هذا إلى علـم شهاب من الأخريات اللاتى حـاولن أن يغرين شهابا بهن ويرمين فى نفسه اليأس التام من أن تكون بينه وبين فتنة أى صلة .

ولـم يعبـأ شـهـاب بما تدعيه أولئك الراقصات ، فمن النـاس نوع يظن نفسه شيئا غير الآخرين . . . إنهـا رفضت أن يكون لها عـلاقة بأى واحد من رواد الملـهى ولكن لـم يكن شـخص من الرواد مـثل شـهـاب مـتـولى ، فالذى لم يتحقق لغيرى لابد أن يتحقق لى ، فأنا غير هؤلاء وليس بينهم من يماثلنى . وهكذا راح يطارد فتنة دون يأس سنين عـدة وهى تخضع له بالقول ولكن تأبى عليه ما ردت عنه الآخرين .

ولكن شـهـابا ظل يقـصـد إليهـا كل ليلة ولـم يعـد فى حـاجة للاعـتـذار لزوجته سعـاد ؛ فقد ألفت هذا الأمر منه وامتنعت عن مساءلة زوجها مع أنهـا بذكائها أدركت أن وراء سـهـره الليالى أمورا جديرة باهتمام الزوجة غاية الاهتمـام إلا أنها اكتفت من الزوجية بظاهر الأوضـاع ، وكمـا توقف شـهـاب عن الاهـتمـام بزوجته توقف عن الاهتمام بابنه وابنته إلا ما تلقيه

إليه زوجته من أخبار على مائدة الغداء إذا التقيا عليها صدفة . وهكذا تهرأت روابط الزوجية والأبوة بين شهاب وأسرته ، أما عن الناحية المالية فقد تغافل عنها لما وجد سعادا لا تطالبه بها واعتبر إنفاقها على شئون المنزل والأبناء أمرا مفروغا منه مادامت هى لا تناقش هذا الأمر معه ، وهى من جهتها أضافت الناحية المالية إلى أركان الحياة الأسرية المنهارة واحتملت الإنفاق على ابنيها ، والبيت ، فقد كانت موفورة الدخل من عملها الطبى ومن أبيها أيضا .

وجاء وزير لوزارة الزراعة استغنى عن شهاب كمدير لمكتبه ، ولكنه فى مقابل هذا جعله بدرجة وكيل وزارة لشئون السماد ومواد المقاومة للآفات والحشرات . ومع انقطاع صلته بأهل بيته لم يجد ما يمنع أن يخبر زوجته وأمجد وفضيلة بالخبر ولم يدهش أن وجد فرح الأسرة بالخبر هينا متهافتا .

وسعى شهاب سعيا حثيثا أن ينشر الخبر فى الصحف ، فقد انتوى أن يستفيد من هذا النشر فائدة كبرى .

وحين التقى بفتنة كان حريصا أن يصحب معه جريدة من الصحف التى نشرت الخبر . وكان فرح فتنة أعظم بكثير من فرح أسرته ورأى أن هذا أمر طبيعى .

وفى مدى شهور قليلة عرف شهاب أسرار وظيفته الجديدة وعرف تمام المعرفة كيف يكسب منها مكاسب لم تكن تخطر له على بال ، بالإضافة إلى أنه مازال كما كان المشرف على علاقات الوزارة بالتجار ، ومازالت أرباح هذه الوظيفة تنهمر على حساباته بالبنوك .

وفكر شهاب وأمعن فى التفكير كيف يجعل مكاسبه تتضخم، وأدخل فى حساباته ما سيعود إليه من وظيفته الجديدة. . . ولكن أحلامى وآمالي هذه تحتاج إلى تعاون من الموردين والمصدرين معى حتى أكون قادرا على ربح الملايين. . . فتنة. . نعم فتنة. ماذا لو تزوجت فتنة وكانت هى وسيلتى إلى أصحاب الملايين. . . أعرف أنها شريفة ولكن كل إنسان يظن نفسه أنه قادر على ما لا يستطيعه غيره كما ظننت أنا بنفسى حتى ردنى حرص فتنة على شرفها إلى صوابى، وكذلك سيكون الحال مع كل من تقصد إليه من أصحاب الأموال الشامخة التى تكال كيلا ولا تعد. . . فتنة وسيلتى وليس غيرها.

ـ ما رأيك أن نتزوج؟

ـ وبيتك؟

ـ ما شأنه؟

ـ لقد مررت بهذه التجربة وأكره أن أكررها.

ـ ليس فى العالم اثنان متشابهان فى الخلق حتى وإن تشابها فى الخلقة.

ـ مهما تفلسفت لن أكرر التجربة.

ـ فإذا طلقت زوجتى؟

ـ أقبل الزواج.

لن يكون الطلاق أمرا يدعو إلى الدهشة من سعاد أو حتى من أمجد

وفضيلة ، فنحن فى الفترة الأخيرة علاقاتنا منفصلة تماما وسعاد وحدها هى التى تقوم بشأن البيت والولد والبنت ترى فى أى كليات هما ، أظن أمجد فى الطب وفضيلة فى الاقتصاد والعلوم السياسية ربما كان هذا صحيحا ، ولكن المؤكد أننى لا أعرف إلى أى سنة وصل الولد أو البنت ، لقد كان زواجى من سعاد وإنجابى منها فترة وانتهت أو لابد أن تنتهى على كل حال .

* * *

الفصل الحادى عشر

وما أيسر أن طلق شهاب زوجته ، ولم يعبأ بأبيها صاحب الفضل عليه وما أيسر ما تزوج من فتنة وأقام لهذا الزواج حفلا دعا إليه كل من ينتوى أن يعمل معهم ، وكان من الطبيعى أن يلبوا دعوة وكيل الوزارة التى يتعاملون معها .

واستقبلت سعاد الطلاق فى حزن غامر ، فقد تغاضت عن كل حقوقها الزوجية بل وضربت صفحا عن إهمال زوجها وأبى ابنيها . فعلت كل هذا لتتقى الطلاق من أجل نفسها ومن أجل ابنها وابنتها ؛ فهى تعلم أنها غير جميلة ولكن هو الذى اختارها ، وكانت تعلم منذ تقدم للزواج منها أنه اختارها لأسباب بعيدة كل البعد عن جمالها وهى واثقة كل الثقة أنه لم يشعر نحوها بما يسمونه الحب أو العاطفة الجياشة أو غير الجياشة أو حتى الود والسكينة التى تضم الزوجين فى رباط واحد وقدرت أنه خطبها ليرتفع بطبقته من ابن خولى إلى زوج لكريمة وكيل وزارة مهما يكن وكيلا سابقا ، ولم يفت فطنتها أن حالة أبيها المالية المتعشة كانت ضمن الأسباب المهمة فى خطبة شهاب لها وحينذاك قدرت أنها لن تخطب إلا لهذه الأسباب ، وما دام الأمر كذلك فلا فرق هناك بين شهاب وغيره ، فهى على الأقل تعرفه وهو على كل حال أحسن ممن لا تعرفه .

وتحملت الحياة الزوجية معه بعد إنجابها لابن وابنة، ولم تحاول أن تذكره بواجباته المالية والأبوية مسقطة من حسبانها واجباته الزوجية إسقاطا تاما، وشغلت نفسها بالعمل فى المستشفى، وتمكنت من العثور على شقة محترمة جعلتها عيادة لها، ولما كانت متخصصة فى أمراض النساء كما كانت ماهرة كل المهارة فى تخصصها كانت عيادتها مصدر ربح وفير جعلها تواجه فى يسر مطالب البيت ومطالب أمجد وفضيلة حتى أوشكا على التخرج.

أمجد فى كلية الطب تخصص جراحة وفضيلة فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وكانت دائما تنجح بدرجة امتياز حتى لم تستبعد أمها سعاد أن تعين معيدة بالكلية.

وكانت سعاد فخورة بابنها وابنتها كما كانت تزهى فى نفسها أنها وحدها صاحبة الفضل فى تفوقهما، وكانت تحمد لنفسها أنها لم تذكر لزوجها هذا الفضل منها قط، محاولة بكل ما تستطيع من جهد أن تبعد فكرة الطلاق عن ذهنه فقد كانت كل تصرفاته فى السنوات الأخيرة توحى إليها أنه فى غالب الأمر ينتوى الطلاق وأنه لا ينتظر إلا سببا مهما يكن هينا ليقدم عليه. وها هو ذا السبب قد وجد وطلق زوجته.

ورضخت سعاد للأمر الواقع فى حزن حاولت أن تبدده فى مزيد من العمل؛ أما أمجد وفضيلة فقد تملكهما الأسى لما أحساه من حزن أمهما ولكن كليهما كان لا يشعر بالأبوة كعنصر أساسى فى حياته فما هو إلا يوم أو بضعة أيام قليلة حتى نسيا ما كان من أمر الطلاق كأن شيئا لم يقع.

صمدت سعاد بضعة أسابيع ولكن غريزة المرأة فيها جعلتها تحاول البحث عن سبب طلاقه لها.

ولم تفكر إلا فى حماد شريف لتسأله عن السر الخافى عليها :

ـ أستاذ حماد؟

ـ هو أنا ، من المتكلم؟

ـ أنا سعاد الجوهرى .

وفوجىء حماد وأدرك السبب الذى تطلبه من أجله وأحس ببعض الحرج ، ثم حزم أمره على أن يقول لها كل شىء ، فهى إن لم تعرف منه ستعرف من غيره ، واستجمع نفسه سريعا وقال لها فى التليفون :

ـ أهلا وسهلا يا مرحبا ، والله أنت لا تعرفين كم أنا حزين لما حدث ، وأنت طبعا متأكدة أننى حاولت أن أمنع وقوعه ولكنك تعرفين أنه لا يسمع كلام أحد .

ـ أنا شاكرة لك ولكن هل عندك مانع أن أراك؟

ـ الآن إذا أمرت .

ـ أهلا وسهلا .

وجاء حماد وعرفت سعاد منه كل شىء بدءا من صلة شهاب بفتنة حتى زواجه منها ، ولكن الأمر الذى لم يكن يعرفه حماد هو سبب هذا الزواج ، الأمر الذى كان خبيئا فى نفس شهاب ولا يعرفه أحد إلا هو . وهكذا وقع فى ظن سعاد أن شهابا تزوج من فتنة لجمالها ، فقد كان هذا هو ظاهر الأمر ولا يعرف باطن الأمور إلا الله .

ووقع الأمر وقوع الكارثة على سعاد وأصبحت كارثة طلاقه لها أهون من كارثة زواجه براقصة مقدرة أثر هذا على ابنيها ؛ فإن يطلقها أبوهما

شيء يمكن أن يسيغه المنطق ؛ أما أن يتزوج من راقصة فتلك هى الداهية الدهياء لها ولابنها ولابنتها جميعا. ما مصير أمجد إذا تقدم للزواج من إحدى الأسرات المحافظة؟ والأدهى ما مصير فضيلة إذا تقدم لها واحد من هذه الأسرات؟

كانت سعاد تعلم أن المصيبة قد وقعت ولا سبيل لردها، ولكن لابد من محاربتها مهما كانت الحرب غير مجدية.

أخبرت سعاد أمجد وفضيلة بالنبأ ووقع عليهما وقوع الصاعقة، فإن يكونا قد تقبلا الطلاق فى هوادة إلا أنهما لم يكونا ينتظران أن يتزوج أبوهما من راقصة، وفى سرعة خاطر وحسم قال أمجد لأمه:

ـ أنا مسافر إلى جدى الآن.

ـ فكرة لا بأس بها، ولكن ماذا يستطيع جدك أن يفعل؟

ـ لابد أن يعرف على كل حال، إنك تجدينه حتى الآن لم يعرف شيئا عن الطلاق وطبعا لا يعرف شيئا عن هذا الزواج الهباب، وكلا الأمرين لابد أن يعرفه.

ـ توكل على الله.

لم يكن أمجد أو فضيلة يسافران إلى جدهما أو جدتهما، ولكن الجدين كانا كثيرا ما يأتيان لزيارة ابنهما وأسرته، ولم يكن يخفى عليهما حقيقة الأمور والصلات بين ابنهما وزوجته وابنه وابنته، ولكنهما كانا يتظاهران بأنهما لم يلحظا شيئا يدعو إلى السؤال محاولين أن يقنعا زوجة ابنهما وابنيه بأنه ليس هناك شيء يدعو إلى التعجب أو الاستغراب،

ولكن أسرة شهاب بجميع أفرادها كانت موقنة أن أمرها لم يغب عن أبى شهاب وأمه .

كانت سعاد قد اشترت سيارة لكل من أمجد وفضيلة منذ دخلا الجامعة .

وما أسرع ما استقل أمجد سيارته وتوجه إلى جديه فى الهدارة .

* * *

الفصل الثانى عشر

وما أن أتم أمجد حديثه إلى جديه حتى قال له الشيخ متولى :

ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . . . أعود بالله من الشيطان الرجيم . . . هل سيارتك معك؟

ـ طبعا .

ـ تبيت الليلة معنا ونسافر فى الفجر .

ـ إذا أحببت نذهب من الآن .

ـ غدا أضمن عثورى عليه فى الوزارة ، أما الآن فكيف أجده؟

ـ معقول ، خاصة وأنا لا أعرف له عنوانا أو محل إقامة ، ربما يكون مقيما فى شقة زوجته؟

وقالت تفيدة فى أسى :

ـ قطعت وذررت فى الهواء ، أهكذا يا شهاب ، ألم تفكر فى أبيك وأمك؟ وانخرطت فى البكاء بكاء ذا نشيج ولوعة وأسف . وقال لها زوجها :

ـ إذا كان لم يفكر فى نفسه وعائلته وابنه وابنته تنتظرين منه أن يفكر فينا، أتذكرين آخر مرة زارنا فيها؟

ـ يا أخى لا عليك من الزيارة ربما كان مشغولا .

ـ الآن عرفنا فيم هو مشغول .

ـ لا . . . إنه يحترمك ويعمل لك ألف حساب .

ـ يا تفيدة الذى يعمل ما عمله لا يعمل لأحد أى حساب .

ـ أخاف أن أدعو عليه ؛ ويستجيب ربنا للدعاء .

* * *

ذعر شهاب وهو يرى أباه داخلا إلى غرفته بالوزارة وسارع إليه يقبل يده :

ـ أهلا يا آبا أهلا وسهلا .

ـ لا أهلا ولا سهلا .

ـ إذن بلغوك .

ـ وماذا كنت تنتظر؟

ـ أن تعرف ولكن ليس بهذه السرعة .

ـ المهم أنه كان لابد أن أعرف . راقصة يا شهاب راقصة؟!

ـ وحياتك يا آبا إنها فى غاية الشرف .

ـ دع حياتى وشأنها .

وتترك زوجتك وابنك وابنتك!

ـ يكفيهما أمهما .

ـ هل يستغنى أحد عن أبيه؟

ـ هما استغنيا عنى .

ـ لما رأياك لا تسأل عنهما .

ـ يا آبا لا أراك الله البيت الذى كنت أعيش فيه معهم . . . كان بالنسبة إلىّ كالسجن .

ـ لماذا ، هل كان أحد فى بيتك يخرج عن طاعتك؟

ـ الحقيقة لا .

ـ فما هذا الكلام الفارغ الذى تقوله؟

ـ بذمتك يا آبا وحياتى عندك وحياة أمى . . هل ترى فى سعاد شيئا من الجمال؟

ـ ألست أنت الذى اخترتها ، وهل أخفت عنك وجهها حين خطبتها؟

ـ غلطة ، هل كتب على أن أظل حياتى كلها أدفع ثمنها؟

ـ يا ابنى سعاد زوجة ليس لها مثيل والجمال ليس كل شىء .

ـ يا آبا الجمال قد لا يكون مهما للآخرين ولكنه بالنسبة للزوج شىء مهم . . . ومهم جدا .

ـ يا ابنى إن أمجد وفضيلة على وش زواج .

ـ ولنفرض ، أليس لى الحق أنا أيضا أن أعيش؟

ـ يعنى لا فائدة من الكلام .

ـ الكلام الآن لا فائدة منه .

ـ إذن فكل منا حر فيما يفعله .

ـ اعذرنى يا آبا . . . أنا عندى زعلك أنت وأمى بالدنيا كلها .

ـ ولما عملت عملتك ماذا كنت تنتظر؟ أن أفرح وتزغرد أمك ، لقد تركتها ودموعها سائلة كالمطر حتى وهى نائمة .

ـ اعذرنى يا آبا أنت وأمى . . . الظروف أقوى منى .

ـ بل أنت الذى صنعت هذه الظروف ولا تظن أننى سأسكت وغدا تشوف ماذا سأفعل . . سلام عليكم .

ـ يا آبا انتظر ، أين ستذهب؟

ـ هذا ليس شأنك ابق حيث أنت .

وخرج الشيخ متولى ووجد أمجد ينتظره فركب السيارة وهو يقول لحفيده :

ـ هيا بنا إلى بيتكم يا ابنى .

وكانت سعاد بالمنزل .

* * *

الفصل الثالث عشر

قال لها الشيخ متولى :

ـ أنا خجلان أن أريك وجهى ؛ كأننى أنا الذى عملت ما عمله ابنى .

ـ أعوذ بالله يا عمى وأنت ما ذنبك؟

ـ ذنبى أنه ابنى .

ـ أنا متأكدة أن أسفك لما عمله أشد من أسفى أنا وابنه وابنته .

ـ ولهذا قررت أمرا لا رجعة لى عنه ، أولا أن تعتبرى بيتى بيتك وأنا لن أنقطع عن زيارتكم بل سأكثر من هذه الزيارات ، واعتبرينى مسئولا عنكم مسئولية الأب عن أبنائه وأنتم أبنائى فعلا ، فالقدماء يقولون إننى ولدت أبناء ابنى مرتين لا مرة واحدة . توكلى على الله ، ثم علىّ .

ـ والله يا عمى أنا أضعك فى مكان والدى تماما وأعرف تماما مكانتى أنا وأبنائى عندك .

ـ انتظرى ، لم تعرفى بعد ما قررته .

ـ تحت أمرك يا عمى .

ـ أنا أعرف أن ربنا فاتحها عليك وأنك لا تحتاجين إلى مال إلا أننى ملزم أن أساهم، وأنا أمام الله المسئول عن هذا ولو أدى الأمر أن أرفع القضايا باسمكم على وحيدى جزاه الله وأنا لا أملك إلا اثنى عشر فدانا كما تعلمين، توكلت على الله وسأبيعها لأمجد وفضيلة بالميراث الشرعى على أن يأخذا ريعها بعد وفاتى أنا وتفيدة.

ـ يا عمى لا داعى لهذا، فنحن مستورون والحمد لله.

ـ أنا أعرف ذلك ولكن لابد أن يعرف ابنى كم أنا غاضب عليه ورافض لما فعله حتى أنى منعته أن يرثنى ولا تحاولى مناقشتى فى هذا الأمر، وللأسف لا أملك إلا هذا التصرف بالنسبة لك ولأحفادى.

وحين عاد الشيخ متولى إلى زوجته، نقل إليها كل تصرفاته مع ابنه ومع سعاد والعجيب أن تفيدة أيدته فى بيع الأرض لحفيده وحفيدته. وبدأ من غده فى اتخاذ الإجراءات حتى تمت على الوجه الأكمل.

* * *

بدأ شهاب حياته الزوجية بشراء شقة فاخرة توخى أن يكون الاستقبال فيها متسعا غاية الاتساع، وفرشت فتنة الشقة فرشا فاخرا؛ فقد تعلمت الذوق من كثرة البيوت التى دخلتها. وفرضت فتنة على شهاب أن يكون أوائل المدعوين هم رجال الصحافة والإعلام، على أن تكون تلك الاستقبالات فردية حتى يظن الصحفى المشرف على الصفحة الفنية فى جريدته ـ والمدعو إلى بيت فتنة لا شهاب ـ أنه وحده المقرب عند الراقصة ولا بأس أن يفوز بعض هؤلاء المدعوين بهدايا قيمة أيا كان نوع هذه الهدايا وحجمها. ونفذ شهاب ما أرادته فتنة، وما هى إلا أسابيع قلائل

حتى تصدرت صورة فتنة الصحف وأحاديث الإذاعة والتليفزيون، وتم لها ما دبرت له فى نجاح منقطع النظير وحينئذ قالت لشهاب :

ـ الآن تستطيع أن تدعو من تشاء من رجال الأعمال الذين تحاول أن تقيم بينك وبينهم صلات اقتصادية .

وهكذا أقام شهاب وفتنة حفل عشاء فاخرا؛ كان المدعوون فيه رهطا ضخما من رجال الأعمال وفى الوقت نفسه من الصحفيين والصحفيات والعاملين والعاملات بميدان الإعلام، ولبى أغلب المدعوين الدعوة، وكثير منهم اجتذبه أن فتنة الشهيرة هى ربة البيت . وتوثقت صلة شهاب بثلاثة من العاملين بسعة فى الميدان الذى يشرف عليه فى الوزارة .

كان أول الثلاثة وأهمهم هو نبيل فواز الملط ولو أنه أخفى لقب الملط هذا من اسمه تماما فأصبح لا يعرفه عنه إلا الذين يعرفون أصله الأول، وكان أكبر مستورد للأسمدة الزراعية والمواد المبيدة لحشرات النبات .

وكان نبيل فواز رجلا فى الخمسينيات من عمره؛ شديد العناية بمظهره وملبسه، وطبعا لم يكن حاصلا على شهادة تجاوز الابتدائية، وقد مارس السوق فى السنوات الأولى من حياته، وكان ذلك عن طريق التاجر الذى يبيع لهم الأسمدة فى قريته النكارية بالشرقية . ولاحظ التاجر فى الفتى الصغير نبيل ذكاء وتفتحا؛ فضمه إليه، وحين تأكد نبيل أنه أصبح على علم بأسرار السوق وخوافيه تشجع أن يطلب من عمه عبسى الملط يد ابنته نبوية التى لم يكن يجرؤ على طلب يدها من قبل، فعمه صاحب ثلاثة أفدنة وفواز الملط أبو نبيل لا يملك إلا عشرة قراريط وقبل عبسى طلب نبيل على حرف؛ فلم يكن مطمئنا إلى أن نبيل قادر على أن يفتح بيتا . وكانت نبوية صبوحة الوجه، يظلمها من يقول عنها جميلة، وكانت

وحيدة أبويها عبسى وخيرية، ولذلك لم يكن غريبا أن يدخلها أبوها إلى المدرسة الإلزامية وتتعلم القراءة والكتابة العاجزة.

وقد كان نبيل شغوفا بها وكانت هى تدرى ذلك، ولكنها أخذت من حب ابن عمها لها موقفا محايدا لا هو بالمقبل ولا هو بالرافض، ولهذا لم تكن فرحة نبوية غامرة حين أبلغها أبوها عن خطبة نبيل لها وقبلت فى غير حماس ولا عزوف. وبعد أن تم الزواج راجت تجارة نبيل واتسعت حتى شملت الشرقية جميعها. وبفضل حذقه ومهارته تخطت جهوده الشرقية إلى محافظات أخرى كثيرة؛ فما هى إلا سنوات حتى أصبح أكبر تاجر فى المواد التى يتاجر فيها وبلغت أمواله الملايين، ولكن كل هذا لم يجعله يرضى عن زوجته؛ فهو حين يقارن بينها وبين النساء اللواتى يحتم عليه عمله أن يلتقى بهن يجد الفرق شاسعا فى كل شىء سواء فى الجمال أو الحديث أو التصرفات، فإن يكن نبيل قد أفاد من علاقاته ثقافة فى الكلام أو المعاملة، فإن نبوية ظلت على حالها الذى كانت عليه يو تركت بيت أبيها عبسى.

ولهذا لم يكن عجيبا أن يبهر نبيلا جمال فتنة فى الدعوة التى دعاه إليها شهاب وخاصة حين عقد المقارنة بينها وبين زوجته؛ لهذا ظل نبيل فى ذيل فتنة طوال العشاء، ولو أنه لم يكن وحده الذى نهج هذا النهج. وكان شهاب سعيدا غاية السعادة بإعجاب هؤلاء الأساطين بزوجته، فلهذا تزوجها ولهذا السبب نفسه أقام هذا الحفل الفاخر.

أما ثانى الثلاثة، فهو صفوت بك رمزى، وهو تاجر قديم من عائلة متوسطة الحال وزوجته من نفس المستوى، وهو حاصل على شهاد التجارة وعمل فى اثنين من البنوك الكبرى فى القاهرة وتمرس بالأسـ

والسندات وعمل بالتجارة التى يعمل بها نبيل ، وحقق أرباحا واسعة ، وإن كا ن نبيل قارب الستين من عمره فإن صفوت لم يكن تجاوز الخمسين ، وهو أيضا أعجب بفتنة غاية الإعجاب ولم يخف إعجابه بل أعلنه وصارح به زوجها الذى سعد بهذه المصارحة غاية السعادة ، وإن لم يكن صفوت فى مثل ثراء نبيل ولا هو يضاهيه فى سطوته على السوق .

أما ثالث الثلاثة ، فهو أسامة البدرى ؛ وهو فى الأربعين من عمره ، وشبابه أو قربه من الشباب يجعله أكثر نضارة من التاجرين الكبيرين وإن كان يجعله أيضا أقل ثراء ، وهو أيضا لم يحاول أن يطوى فى صدره إعجابه بفتنة مع أنه متزوج من ابنة عمه راوية منذ سبع سنوات فقط ، وقد تحرى ألا يقدم على الزواج إلا بعد أن يضع قدمه فى تمكن على طريق الثراء وهو خريج حقوق ، ولكنه لم يشتغل بالمحاماة وإنما عمل مع فريد السعيد صديق والده وهو رجل أعمال ضخم الثراء ، وقد عمل معه أسامة فى الشئون القانونية ومن طوايا الملفات شرب التجارة فما هى إلا سنوات ثلاث حتى كان له ميدانه الخاص ، وقد اختار تجارة الأسمدة والمبيدات الحشرية فى الزراعة .

وكان شهاب قد تعرف على هؤلاء الثلاثة وغيرهم من خلال مكتبه فى الوزارة ولكنه انتقى هؤلاء الثلاثة ليوطد صلاته ؛ فقد تعرف على ميولهم وما قد يثير اهتمامهم وما لا يثيره ، واستطاع أن يعرف أن فتنة تستطيع بجمالها أن تكون ذات تأثير فادح على مشاعرهم . وهكذا دعاهم إلى العشاء ، وما لبث بعد ما رآه من اهتمامهم الشديد بفتنة أن يدرك أنه كان صادق الحدس مع ثلاثتهم ، أما فتنة فقد أدركت ما يهدف إليه زوجها ؛ فبذلت حفاوتها بهم ومدت بينها وبينهم الوشائج وإن كانت

وهى تمدها تهدف إلى شىء آخر ، فقد انتوت أن تقاسم زوجها فى الأرباح التى سيجنيها من جمالها ، وإن كانت قد حزمت أمرها على أن يكون ذلك بعد أن يحقق زوجها الثمار الواسعة من جمالها .

أما شهاب ؛ فلم يضع وقتا بل حادث ثلاثتهم فى الأمور التى تمكنهم من ربح طائل هو شريك فيه لا شك بحكم منصبه وجمال زوجته الفاتن .

* * *

الفصل الرابع عشر

فى عام وبعض عام أصبحت ثروة شهاب أصفارا تجاوز الستة، ولم يكن هذا خافيا على فتنة فهى أيضا أصبحت ذات مال غامر باشتراكها فيما يربحه زوجها من عمليات يشوبها كثير من الخروج على القانون وانتهاب الربح من كل مظانه شريفة كانت أو غير شريفة، وكان زوجها يعطيها نصيبها وهو غاضب أشد الغضب، ولم تكن تنال هذا النصيب إلا إذا هددت زوجها بامتناعها عن الذهاب إلى أصحاب الملايين، وكانت واثقة أن تهديدها سيجعله يلبى ما تريد دون أى نقاش ودون أى إنقاص مما تطلب وفوجئ شهاب بزوجته تقول له :

ـ أريد أن أنتج فيلما سينمائيا أكون البطلة فيه، وصمت شهاب لحظات ثم وجد شيئا يقوله بعد فترة من السكوت :

ـ وهل أنت ممثلة؟

ـ أهذه هى الحجة التى وجدتها بعد هذا السكوت الطويل؟

ـ أليس فى طلبك ما يدعو إلى الدهشة؟

ـ بل سؤالك أنت الذى يدعو إلى الدهشة .

ـ ومع ذلك لم تجيبى عليه .

ـ لأنه سؤال يدل على التمحك وليس له غرض آخر .

ـ إذن فأنت ممثلة ولا أعلم!

ـ أنت فى دنيا غير الدنيا أغلب الراقصات ينتجن أفلاما .

ـ وهل تنجح هذه الأفلام أم هى مجرد خراب لا داعى له؟

ـ إذا لم تكن تنجح ما تكرر إنتاجهن لها .

ـ وإذا كان التكرار مجرد مكابرة ورمى فلوس لم يتعبن فيها .

ـ لا شك أن أفلامهن تنجح ولكنك تكابر . وأنت تعرف أننى راقصة لا أقل عنهن شهرة إن لم أكن أزيد .

ـ المهم ماذا تريدين منى؟

ـ أن تنتج لى هذا الفيلم .

ـ هذا لن يكون أبدا . هل يعقل أن أرمى فى الهواء هذا المال الضخم الذى يتكلفه الفيلم بعد أن شقيت كل هذا الشقاء فى جمع هذا المال؟

ـ لا تنس أنه لولاى ما جمعت هذا المال .

ـ ولنفرض، مع أن هذا ليس صحيحا .

ـ ليس صحيحا؟!! إذن لن أذهب فى المهمات التى ترسلنى لها وسوف نرى ساعتها ماذا تستطيع أن تكسب .

ـ نفس التهديد الذى تهددينني به ، ولكنى فى هذه المرة لن أستجيب .

ـ أنت حر .

لم أعد فى حاجة إليها والذين أعمل معهم أصبحوا يحتاجون إلىّ أكثر مما أنا فى حاجة إليهم . من بكره سأقدم استقالتى من الوزارة وأنزل السوق ولا أصبح فى حاجة إلى أسماء أختفى وراءها ، ولن أكون فى حاجة أيضا إلى مساعى فتنة أو غيرها .

* * *

أنا لم أتزوجه عن حب ، وإنما كان كل ما أريد أن يكون معى رجل أحتمى فيه ، ولكنه بخيل شديد البخل وأنا كنت متأكدة أنه سيستغنى عنى فى اللحظة التى ينتهى فيها انتفاعه بى ، فالرجل الذى يرمى أولاده وأمهم كما فعل هو لا يمكن أن يكون مأمونا ولا يمكن أن أطمئن على مستقبلى معه . أنا أعرف ماذا أستطيع أن أفعل ؛ فالرجال الثلاثة الذين أذهب إليهم يتمنون منى إشارة ، وأنا فعلا اخترت واحدا وسأتزوجه وليخبط شهاب رأسه فى الحائط ، ففى فترة زواجى به لم أعرف الاستقرار ولا الهدوء لحظة واحدة ؛ فأنا دائما أخشى أن يطلقنى فى أية لحظة فهو لم يتزوجنى إلا لأننى امتنعت عليه كما أننى الآن ممتنعة عن نبيل وصفوت وأسامة ، والثلاثة حاولوا إغرائى بكل وسائل الإغراء ؛ ولكننى كشأنى دائما لا أهب نفسى لغير زوجى فالمرأة التى تهب نفسها لغير زوجها عليها أن تتوقع الاحتقار من هذا الذى وهبت له نفسها ومن جميع الذين علموا بهذه العلاقة ، وشهاب لا يعلم عنى هذا الرأى إلا من امتناعى عليه قبل زواجنا ولكن هو يهمه مصلحته وحدها مهما كان الثمن . ورجل كهذا

ليس من الحكمة البقاء معه . أنا أعرف طريقى بوضوح وأعرف ماذا سأفعل تماما .

* * *

حاول نبيل وصفوت وأسامة أن يستميلوا فتنة بشتى الطرق ومختلف الوسائل وكان المال أهم هذه الطرق والوسائل ، ولكن أحدا منهم لم يظفر منها بأكثر من قبلة على يدها وليس شفتيها أو خدها . وكانت هى تقبل المال الذى يقدمونه إليها على أى صورة له ولكن لا تعطى مقابله شيئا يذكر ، وكان أسامة أول اليائسين منها إلا أن جمالها ولباقتها فى الحديث لم يجعلاه يقطع أواصر الود بينهما . أما الاثنان الآخران فلم يصل الأمر بهما إلى حد اليأس فكل منهما مازال يأمل أن يصل إليها ، وأدركت فتنة بغريزة المرأة فيها اليأس الذى ران على أسامة كما أدركت بنفس الغريزة ما يراود كلا من نبيل وصفوت من آمال وبقى لها أن تختار واحدا منهما .

* * *

الفصل الخامس عشر

حين لقى الشيخ متولى ربه سارع شهاب إلى البلدة وعانق أمه باكيا معها إلا أنه أحس أن الأحضان التى تحيط به ليست أحضان أمه التى ربى فى ظلها والتى كان يعهدها قبل أن تغضب أمه وأبوه عليه . ولكنه لم يقل لأمه شيئا ، وتفرغ لإقامة المأتم الذى كان جديرا بثرائه وبوكيل وزارة سابق .

وبعد المأتم خلا إلى أمه :

ـ أنا تحت أمرك ولن أجعلك تحتاجين لشىء أبدا .

ـ كثر خيرك . . . ما عندى يكفينى .

ـ لا تغضبى علىّ كل هذا الغضب .

ـ أبوك كان حريصا ألا أقبل منك شيئا .

ـ ماذا تعنين؟

ـ إذن فأنت لا تعرف!

ـ أعرف ماذا؟

ـ ألا تعرف أن أباك باع الأرض لابنك أمجد ولابنتك فضيلة وكتب

فى العقد شرطا ألا يحصلا على ريع الأرض إلا بعد موتنا أنا وهو وأن يحصل على الريع خالصا له من يبقى حيا منا بعد الآخر .

ـ إذن فأنا لم أرث من أبى شيئا؟

ـ لم ترث سهما واحدا من أبيك .

ـ ومتى تم هذا؟

ـ ألا تعرف؟ ! منذ تزوجت الراقصة .

ـ أنا لا تهمنى الأرض، فإن ثروتى الآن أضخم بكثير مما تتصورين، ولكن الذى يؤلمنى ويحز فى نفسى أن يكون أبى غاضبا على إلى هذا الحد .

ـ أتظن أن الذى فعلته شىء بسيط . إنه كبير جدا يا شهاب .

ـ على كل حال يا أمه هذا الذى حصل لم يغير من الأمر شيئا أنا سأظل ابنك حتى وإن رفضت أن تكونى أمى، ولن أتأخر عنك أبدا ولن أجعلك تحتاجين لشىء ولا لإنسان .

ـ ربنا يغنينى، وإن شاء الله لن أحتاج شيئا ولا إنسانا حتى ولو كان أنت .

ـ أنا مصمم أن أظل ابنك وتحت أقدامك مهما كنت غاضبة علىّ .

ـ ربنا ينير لك طريقك وغضبى ليس عليك وإنما أنا غاضبة لك ولما فعلته بنفسك .

ولم يجد شهاب شيئا يفعله إلا أن يقبل يدى أمه وينصرف عائدا إلى القاهرة .

* * *

الفصل السادس عشر

قال نبيل لفتنة :

ـ أليس لها آخر؟

ـ اسمع يا نبيل أنت أكرمتنى غاية الإكرام بالهدايا الثمينة وبالمال الصريح ومن حقك علىّ أن تعرف أننى لا أهب نفسى إلا لزوجى .

ـ أنا فاهم هذا من زمن بعيد ولكن كيف؟

ـ طبعا كيف وأنا متزوجة ، فما قولك إذا طلقت؟

ـ أتزوجك فى اليوم الذى تنتهى فيه شهور العدة .

ـ إذن اتفقنا .

ـ وكيف تحصلين على الطلاق؟

ـ هذا شغلى أنا .

ـ وأنا منتظر .

ـ لن تنتظر طويلا .

* * *

كانت فتنة قد أعدت أمرها للحصول على الطلاق من زوجها ؛ فراحت تجمع أموالها جميعا من البنوك وأخفتها جميعا فى خزانة حصينة فى شقتها التى كانت تعيش فيها قبل أن تتزوج من شهاب .

وجمعت كل الأوراق التى تدين شهابا فى العمليات التى قام بها وتوجهت إلى المدعى الاشتراكى .

ووجد شهاب نفسه أمام زوجته ، هى شاهدة عليه وهو متهم .

وصدر قرار المدعى الاشتراكى بوضع أمواله جميعا تحت الحراسة كما وضع القرار أموال زوجته وتغاضى عن ولديه حين أكدت فتنة أن شهابا لا صلة له بابنه أو ابنته وأنه طلق أمهما منذ سنوات وأنهما لا يملكان شيئا خاصا بهما فى البنوك .

* * *

وخرج شهاب من لقائه بالمدعى الاشتراكى إلى المأذون فورا وطلق فتنة وأرسل إليها ورقة الطلاق عن طريق القسم .

* * *

وحين تسلمت فتنة الورقة ذهبت إلى نبيل فواز ، وفوجئت منه بوجه متجهم ولقاء نافر ، مما أدهشها دهشة زلزلتها :

ـ مالك؟

هل حصلت على الطلاق؟

ـ وهذه هى الورقة .

ـ طبعا ، وماذا كنت تنتظرين غير هذا؟

ـ ألم أقل لك إنك لن تنتظر طويلا؟

ـ كنت أتوقع أى شىء إلا ما فعلتيه.

ـ ولماذا توقعت غير هذا؟ لقد كان شهاب معى بخيلا كل البخل كما أنه لم يكن أمينا على عرضى، كان المال هو كل ما يفكر فيه.

ـ لا عذر مطلقا لما أقدمت عليه.

ـ أتلومنى على أننى تخلصت منه لأتزوج منك؟

ـ لا شىء فى العالم يبيح لك أن تفعلى ما فعلتيه.

ـ لقد فعلت هذا لنتزوج.

ـ انسى هذا الموضوع نهائيا.

ـ إلى هذه الدرجة؟

ـ الست التى تفعل ما فعلتيه مع زوجك لا يأمن أى رجل آخر أن تكون زوجته الحفيظة على أسراره، وأنا رجل تاجر وفى عملى كثير من الأسرار إن حجبتها عن الناس لا أستطيع أن أحجبها عن زوجتى.

ـ إذن؟!

ـ إذن لست على استعداد أن أوضع تحت الحراسة.

ـ إن فى يدى أوراقا تدينك.

ـ وهذا أدهى وأمر.

ـ ألا تخاف أن أفعل معك نفس الشىء الذى تصرفت به مع شهاب؟

ـ شهاب زوجك ومن الطبيعى أن تعرفى أسراره وقد يقبل المدعى

الاشتراكى فضيحتك له على أساس أنك زوجة تريد أن تتخلص من زوجها. أما إذا قدمت الأوراق التى تدينني، فسيكون السؤال الذى يوجه إليك من أين حصلت على هذه الأوراق إلا إذا كانت هناك علاقة بينى وبينك وهو الأمر الذى تحرصين على ألا يلحق بك، وحينئذ يسقط عنك حجاب العفة الكاذب الذى تتمسكين به كل التمسك.

ـ سوف نرى.

ـ إذا كنت تهددينى لأتزوجك فماذا أنت فاعلة إذا تزوجت منك يا فتنة. هذا فراق بينى وبينك.

ـ ألا أطمع فى مجرد الصداقة؟

ـ ولا هذه أيضا فأنت نوع لا يأمنه إنسان على نفسه. لا صداقة ولا صلة بيننا من هذه اللحظة، مع السلامة.

ـ وتطردنى أيضا.

ـ كان يجب أن أطردك منذ جئت إلىّ. مع السلامة، بل إننى لا أرجو لك السلامة.

وخرجت فتنة وكيانها مزيج من الغضب والرغبة فى الانتقام والعجز عنه. ودون أن تذهب إلى صفوت رمزى أو أسامة البدرى أدركت أن موقفهما سيكون هو نفس موقف نبيل فواز.

فانطوت على نفسها وانحسرت عنها الآمال فى إنتاج فيلم أو حتى تمثيلية تليفزيونية مدتها نصف ساعة.

* * *

الفصل السابع عشر

قال شهاب لأمه :

ـ لم يعد لى ملجأ إلا أنت .

ـ أهلا وسهلا .

ـ وقبل أن تسألى طلقت الراقصة .

ـ البيت بيتك طبعا ، ولكن لماذا لا تعود إلى زوجتك وابنك وبنتك؟

ـ بأى وجه ألقاهم؟

ـ لعلهم يغفرون لك .

ـ المهم أننى أنا لا أغفر لنفسى ما صنعته بهم .

ـ للزمن سحر عجيب فى النسيان .

ـ إلا الذى فعلته مع زوجتى وأبنائى . . أتمانعين فى بقائى معك؟

ـ أنا أمك وأنت قطعة منى . واترك الأيام تفعل فعلها .

ـ توكلت على الله .

* * *

انتهت بحمد الله....

مجلس الشورى فى ٩ من شعبان عام ١٤١٩هـ

الموافق ٢٨ من نوفمبر عام ١٩٩٨م.

الفهرس

الموضــوع	الصفحة

رقم الإيداع ٥١٣٧ / ٢٠٠٠
الترقيم الدولى 5 - 0625 - 09 - 977

مطابع الشروق
القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت:٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

دار الشروق
القاهرة: ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص.ب: ٣٣ البانوراما - تليفون: ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨٠٧٢١٣ - فاكس: ٨١٧٧٦٥ (٩٦١)